7me Année No. 306

Lundi - 15 - 5 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

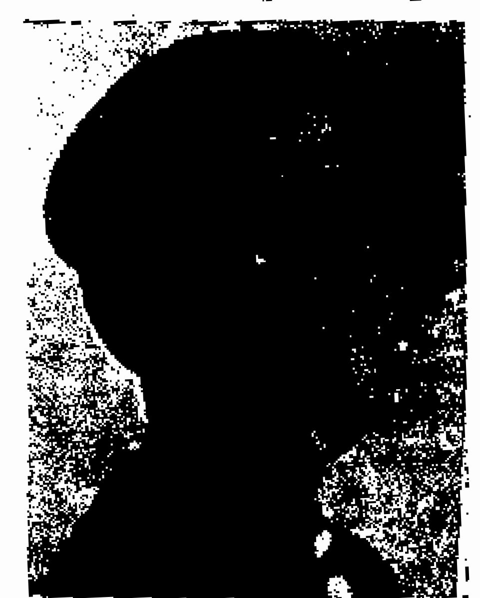
الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

بمناسبة الأربعين

حزن المليك الطفل



هذا اليوم هو الأربعون لمصرع الملك الشهيد غازي الأول. واليوم الأربعون هو في عرف الناس أو الناسين آخر الخطوات في تشييع الحي للميت! فهل آن للجوانح الحرار أن تبرد على سلوان ابن فيصل ونسيان أبي فيصل؟! كل حي إلى حين؛ وكل ذكرى إلى نسيان؛ وكل أثر إلى طموس؛ ولكن أمثال غازي من ملوك الأرض وشباب الملوك وأزيان الشباب هم ملء السمع والبصر والقلب والتاريخ، فلا يملك الدهر أن يمحو ما لهم في صحيفة الخلود من ذكر وأثر. وإذا استحال على الزمن أن ينسى دولة العراق؛ استحال على العراق أن ينسى أسرة فيصل. لأن أسرة فيصل

هي الأساس المكين لبنيان العراق الحديث: قام على جهادها استقلاله، وورفت على رِيّ دمائها ظلاله، وسارت على نور هداها نهضته

* * *

كان الملك فيصل الأول برّد الله بالرحمة ثراه، مثال الرجولة العليا التي يتيحها القدر المديل لإحداث ثورة وإنشاء دولة وإقامة عرش. وكان هو وصحبه البهاليل من أبطال الثورة العربية رموز الحيوية الثائرة والخبرة القادرة والإرادة الحكيمة. جاهدوا حتى تحرر الوطن، ونادوا حتى استيقظ المجد، وأسسوا حتى بنى الشباب. ثم قضى وقضوا شهداء في سبيل العراق الخالد، ولا تزال أرواحهم الطاهرة تشرق في جوه، ودماؤهم الزكية تعبق في صعيده

وكان الملك غازي الأول سقى الله بالرضوان ضريحه، قائد الجيل الذي نشأ معه على قوادم الصقر القرشي الجبار؛ فكان من طبعه الموروث – مهما أبطأ نمو الريش أو أرعد عليه الأفق – أن يرتفع بشبه الطموح الناهض. وكان بشبابه الفينان الواعد عنوان الأمل المعقود على فتوة العروبة في توثيق العقدة وتحقيق الوحدة. ثم كان بأريحيته العربية وسماحته الهاشمية نموذج الحكم الرضيّ الرفيق الذي تسود في عهده الشورى، ويخصب في ظله الفكر، وتعزّ في كنفه الديمقراطية. فلما صرعه القدر هذه الصرعة القاسية ارفضّ لهولها صبر الشباب والكهول من العرب، لأنه كان في رأي هؤلاء سر الماضي وذكرى يقظته، وكان في نظر أولئك رجاء المستقبل وروح نهضته

نعم كان فيصل الرجل، وكان غازي الشاب! وما آلم الإخبارَ بالكون الناقص من الكون التام! ولقد كان الظن بالأيام أن تُبقي على فرع الحسين النابت على دجلة حتى يستغيل ويتشعب؛ ولكن أعاصير الخطوب كانت أقوى من منى القلوب وأصدق من أحاديث الأنفس؛ فلم يبق من أرومة فيصل الحرة إلا غُصَيْنة غضّة النبات تميل حزينة على الجذع المحطم، كما تهوّم الزهرة الوحيدة على القبر الموحش!

* * *

وا رحمتا للوليد المليك! كان له بالأمس صديق لا يخلق الله من نوعه غير واحد لكل واحد. وكان هذا الصديق يقبس نور عينه من نوره، وسرور قلبه من سروره، وغبطة حياته من غبطته؛ ثم لا يرى وجوده كاملاً إلا به، ولا عيشه سعيداً إلا معه. فهما متلازمان كطيفي الجمال والحب: يتجولان يداً في يد بين رياض القصر، أو يتنزهان جنباً إلى جنب في أرباض المدينة، ويوزعان هنا وهنالك البسمات الحلوة والتحيات الطيبة على حواشي الطريق أو في مماشي الحديقة، ثم يعودان إلى الأسرة الملكية بالرضاء المطلق والأنس الشامل، فتشرق في غرفات القصر السعيد بسناً باهر من جلال الملك، وجمال الطفولة، وعطف الأبوة، وحنان الأمومة، وأمان القدرة، وضمان الغد بالسطوة والثروة والولد!

وارحمتا للمليك الطفل! أصبح اليوم وحيداً في القصر المظلم والفراق الحزين كأنه بقية الأمل في القلب اليائس، أو ومضة المنارة في البحر المضطرب! ينظر فلا يرى الوجه المتهلل الذي كان يهش له، ويصغي فلا يسمع الصوت الحنون الذي كان يهتف به، ويمشي فلا يجد اليد الرفيقة التي كانت تمسكه، ويسأل فلا يجد اللسان الحلو الذي كان يجيبه، ويجلس على المائدة فلا يرى الفم الباسم الذي كان ينادمه!

أين أبي يا أماه؟ لقد خرج في الصباح من غير أن يسلم على وليده، ولم يعد في المساء ليقبّل وجنة وحيده!

أين ملكي يا خالاه؟ لقد اختفت السيارة والموكب، وذهب الأمناء والحرس، وغاب الوزراء والقادة! مالي لا أرى الناس إلا من وراء السواد؟ وما لهم لا ينظرون إليّ إلا من خلال الدموع؟ فهل غيبة أبي هذه الفترة القصيرة تجعل الناس غير الناس، والدنيا غير الدنيا؟

ثم وقف المليك الطفل ساهم الوجه حائر النظر، يسأل فلا يجاب، ويفكر فلا يدرك، ويبحث فلا يجد، وينتظر فلا يأتي، حتى أعياه الأمر فاستسلم لشواغل الطفولة، واستنام لوعود الحاشية، وراح ينشد أنسه الوقتي في صحبة خاله، ريثما يعود إليه أنسه الدائم بعودة أبيه!

ولكن أربعين صباحاً وأربعين مساء مضت ثقيلة الأطراف موحشة العشايا مظلمة البُكَر، والصديق لما يعد إلى الصديق؛ والوالد لما يسأل عن الولد! واستيقظ فيصل الصغير الكبير من نومه القلق وحلمه المزعج، فوجد ظهره يبهظه عبء فادح، وجبينه يعلوه تاج ثقيل؛ وأبصر حواليه فوجد مهده الذي كان ينام فيه قد عظم حتى عاد عرشاً، وقصره الذي كان يلعب به قد اتسع حتى أصبح وطناً، وأباه الذي كان ينتظره قد تمدد حتى صار أمّة!

أحمد حسن الزيات

ابن الشـــــارع ...

للدكتور محمد البهى

بائع الصحف ...

وبائع « اليانصيب » ...

والذى يقفز إلى « الترام » أو إلى « الأوتوبيس » ليقدم لك بضاعته التى لا تساوى كذا ... مليما ...

والمتسول الملح فى سؤاله ...

وحامل صندوق « الورنيش » الذى يزعج المار والجالس بصوت فرجونه وترديد ندائه ...

وجامع أعقاب السجاير ...

و ... و ... أبناء الشارع

الشارع إذاً معرض لكثير من الحرف والمهن، وسوق لعدد وفير من العارضين بضاعتهم التى إذا قومت فلا تقوّم إلا بثمن زهيد، يعرضونها فى إلحاح ومذلة، ولكن فى صبر وتجلد

ما الذى حمل هؤلاء على أن يدفعوا بأنفسهم فى هذا السبيل ؟ سؤال يلقيه على نفسه من يحضر لمصر للتنزه أو لدرس حالتها الاجتماعية، ويلقيه كذلك المصرى دقيق الملاحظة . هل حملهم على اعتساف هذه الطريق الربح من غير تعب ؟ لا أظن ذلك، إذ أن التعب شديد والربح ضئيل ، وبعبارة اقتصادية العمل كثير شاق والإنتاج قليل الأثر . أى شىء إذاً ؟ الميل إلى « حفظ البقاء ؟ » وهو – كما يقول علماء النفس – أساس كل الميول الفطرية أو أساس لكل التصرفات النفسية غير الإرادية .

ربما يكون ذلك باعثاً لهم على السعى لجلب القوت فحسب . ولكن لماذا تحتم أن يكون الشارع ميدان الكفاح ؟

هذه ظاهرة اجتماعية مزدوجة : تنم أولاً عن شدة الحاجة من جانب « ابن الشارع » واستباحته الطرق والميادين العامة ومركبات النقل وإزعاج الراجل والراكب كوسائل لسد هذه الحاجة ودفعها، وثانياً عن مقدار الرعاية من جانب الحكومة لأفراد الأمة، أو عن مقدار اتجاهها نحو المصلحة الشعبية وبعدها أو قربها من المنفعة الشخصية

كثير من الناس يلوم « ابن الشارع » ويزجره لأنه فى نظره قد انتهك حرمات الغير بإزعاجه ، وأساء استخدام المنافع العامة التى يجب أن تبقى مصونة من العبث .

وكثير من الناس كذلك تدعه العاطفة الإنسانية أو الرابطة الأخوية ، ورابطة الدم والوطن ، إلى إجابة « السائل » أو مساعدة « جامع أعقاب السجاير » أو على الأقل إلى تأثره لحال « ابن الشارع » على العموم غير ناظر إلى ما يأتيه من أعمال لا تتناسب مع مظهر الجماعة المهذبة من البشر ، بل بالعكس هو لا يرى فيها جرماً اجتماعياً ولا خلقياً من جانب فاعلها لأنه مرغم على فعلها ، وليس من مرغم له — فى نظره — غير حكومته .

فليست غاية الحكومة – فى رأى هذا الأخير – فرض الضرائب وجمعها ، ثم توزيع ما جمع منها على جماعة من أفراد الأمة ، وهى طائفة من الموظفين كان المبدأ الحزبى أو العصبية والمحسوبية أساس اختيارها؛ لأن هذا معناه استغلال فئة خاصة لثروة الشعب من طريق هو أميل إلى الخداع منه إلى تعويضه عن ذلك بعمل إيجابى . وإنما غاية كل حكومة رعاية المصلحة العامة وضمانها لكل فرد سبل العيش بتنظيمها ثروة الأمة ، وإنتاج الشعب ، ولها مقابل ذلك طاعته لما تفرضه عليه من قوانين أو التزامات ، وعلى مقدار تهذيبها للفرد وعنايتها به تكون درجة إنتاجه الذى هو جزء من الإنتاج الشعبي العام .

رأيان إذاً فى تكييف هذه الظاهرة الاجتماعية وشرحها ، وبينهما فرق كبير . فابن الشارع إما مذنب فى نظر العرف الاجتماعى أو على حسب مقياس أخلاق الجماعة ، وإما برىء لأنه بعمله هذا قد استخدم حقه الطبيعى ، وهو رعاية نفسه بنفسه حفظاً لبقائه بعد تحلله من رابطة الجماعة تحللاً نفسياً، لأنه شعر ووقر فى نفسه كذلك عدم فائدة تلك الرابطة له . فليس ما يأتيه إذاً من إزعاج الغير وتجاوز الغاية المعروفة من الطرقات والميادين العامة منكراً؛ وإن جاز أن يعده قانون الجماعة منكراً ، ولكنه أصبح لا يعترف به .

قد يكون هذا شرحاً لتلك الظاهرة من الوجهة الخلقية . وهو أيضاً له أثره فى الناحية القانونية . فالذى يرى براءة ابن الشارع هذا لا يعرف نفسياً بعقوبة القانون الذى يحاكمه على مباشرته لعمله « الطبيعى » وإن كان يتقبلها على أنها ظلم حل به .

وعلى مر الأيام سيعتقد بما آمن به بعض قدماء الإغريق من أن « القانون الوضعي جعل لرعاية المصالح الذاتية ، مصالح الولاة والحكام ، مصالح الأقلية القوية الحاكمة ضد الرعية التي هي أكثرية ضعيفة » . وإذاً فعقاب « ابن الشارع » على ما يأتيه مما ظاهره منكر من جانب واحد وهو جانب العرف الاجتماعي اضطهاد لوجوده أو هو عمل على فنائه

ولكن هل هذا هو ما يشعر به حقاً ابن الشارع أو المتعصر له الذي يعطف عليه ويشجعه بشرائه منه أو تصدقه عليه ؟ قد يكون ؛ ويغلب أن يكون ذلك لأنك لو سألت ابن الشارع لماذا لا تعمل عملاً منتجاً أكثر وأحسن من هذا لأجابك على الفور : أين ؟ وأي شيء هو ؟

وما دام يسيطر عليه مثل هذا الشعور فقلما يكون منه احترام للقانون العام الذي هو قانون الجماعة ، وقلما يعرف حرمة لعلاقته بغيره ، وقلما يميز بين « مشروع وغير مشروع » حتى تشعره الحكومة بالرعاية وتعترف بوجوده وتعبد له طرق الحياة الشريفة .

ولعل من يلوم ابن الشارع على عمله يلومه لأنه يرى أن حكومة الدولة لم تدخر وسعاً في تعميم تلك « الرعاية » فأنشأت الملاجئ للمعوزين ، والمستعمرات الزراعية للأطفال المشردين ، ثم منعت التسول ، ثم نظم صاحب السعادة محافظ العاصمة الشاذلي باشا ، باثعي الصحف (والياسيب) بتمييزهم بقمصان زرقاء أو صفراء . . الخ

والواقع أن التدابير التي تتخذها حكومتنا في معالجة المسائل الاجتماعية ليست مبنية على أساس ، لأن الذي يحملها على ذلك إما التقليد غير الموفق ، أو التأثر الوقتي لأمر ما ، وغالباً تكون الدعاية الحزبية . ولن تأتي « تدابير » رعاية ابن الشارع بثمرة ما دامت الحكومة لا تأخذ بمبدإ التدخل في تنظيم الاستغلال والإشراف على الإنتاج العام

وسيظل ابن الشارع غير مجرم في نظر نفسه ؛ وسيظل تضرر الغير به ما دام يباشر عمله ؛ وسيستمر هو في مباشرته حتماً حفظاً لوجوده ، وتلبية لغريزة حفظ البقاء .

محمد البهي

دكتوراه في الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

من برجنا العاجي

من المسئول عن فتور الحركة الأدبية الملحوظ في مصر؟ لا ينبغي أولاً أن نعلل ذلك بالحوادث الدولية ، فإن الفتور كان دائماً موجوداً في جونا الأدبي قبل أن تنشأ هذه الظروف . ثم إن المشاكل السياسية وتأثيرها في النفوس والشعوب لم تحل في أوربا دون اهتمام الناس بشؤون الفكر وعناية الجمهور بالكتب والأدب . فما زالت الصحف الأدبية تتحدث هناك عن ظهور الكتب الجديدة والأدباء الجدد بنفس الحماسة التي تتحدث بها في كل زمان . وما زالت المسابقات الأدبية والجوائز السنوية تهز الناس وتثير نشاط الكتاب كما تفعل في كل حين . فأحداث السياسة مهما عظم خطرها لا يمكن أن تشل في أي بلد متحضر حركة الفكر والفن فيها . فالأمة الراقية شأنها شأن الإنسان الحي مهما عرضت له من الحوادث فإن رأسه دائماً هو الرأس اليقظ الذي لا يني عن التفكير

إذن ما بال هذا الرأس في بلدنا نائماً ؟ وما بال الناس لا يشعرون أن في مصر أدباً يتحرك ويتطور ، وأن فيها أدباء يعملون وينتجون ؟ ما يكاد يمضي شهر حتى تخرج المطابع كتباً في الشعر والنثر . وما يكاد يمر يوم حتى يجيئني البريد بكتاب جديد أو بديوان شعر جديد . كم من الأدباء الجدد والكتاب الناشئين يخرجون عندنا في كل عام أعمالاً جديرة بالكلام ؛ بل كم من الأدباء الناضجين ينشرون آراء خليقة بالمناقشة ؛ ولكن كل شيء يمر في فتور كأنها نسمات في مدينة الأموات . ما العلة ؟ العلة بسيطة . ما من أحد في هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هي الأدباء أنفسهم . إنهم في ميدان الأدب أقل نشاطاً منهم في ميدان السياسة مثلاً . إنهم يكتبون في الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير في جو الفكر حراكاً . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا . إنهم هناك في يقظة أدبية ، ومن كان في يقظة استطاع أن يوقظ الآخرين .

توفيق الحكيم

طريق علاج المشكلة

وبعد ... يا أيها الأغنياء ؟!

للأستاذ علي الطنطاوي

ألم يأنِ لكم أن تخشع قلوبكم، وتلين أفئدتكم؟ أقُدَّت من حجر؟ إن آيات (الزيات) البيّنات تلين الحجر، فما لقلوبكم ما رقت ولا لانت؟ ألا تكلفون نفوسكم تحريك أجفانكم وفتح عيونكم لتروا صرعى البؤس، وضحايا الفاقة، ماثلين لكم في كل سبيل، فتأخذكم بهم رحمة الإنسان، وتعرو قلوبكم لهم رقّة المؤمن؟ إني لأحاول أن أفهم كيف تزينون لأنفسكم حالكم، وتبررون إهمالكم؛ فلا أستطيع ... لا أستطيع أن أتخيّل كيف يهنأ صاحب القصر بطعامه وشرابه، وكيف يدلل صبيته ويضاحك عياله، وعلى عتبة قصره، وتحت شبابيكه، صبية مثلهم براء ما جنوا ذنباً، أطهار ما كسبت أيديهم جريرة، يبكون من الجوع ويشتهون قطعة من الرغيف الذي يلقيه الغني لكلبه السمين، يتمنون ويتمنى آباؤهم قرشاً من الجنيه الذي يرميه الغني في الهاوية الخضراء التي يسمونها (مائدة القمار) أو يذيبه في كأس السمّ التي يدعونها (الشمبانيا) ثم يخرج جنيهاً غيره بعد لحظة ليتبعه الأول، ويتبع به عشرات ... يتمنون هذا القرش الواحد ليعيشوا به يوماً، ويملأوا به بطونهم خبزاً، فكيف تضنون على الإنسان المسكين بالقرش، وتنفقون الألوف على الشيطان، وعلى خراب الأبدان والأوطان والأديان؟

إننا نقرأ في الصحف من أنباء أوربة وأميركة أن لأغنياء القوم مآثر وعطايا، ولهم في كل مكرمة السهم الراجح والقدح المعلّى، ونسمع أن فيهم من يعطي العطيّة وهو مستتر مستحٍ لا يحب أن يدعى باسمه، وإنما يتسمى من التواضع والحياء بـ(فاعل الخير) ... فما لأغنيائنا الذين يقلدونهم في عيوبهم ومثالبهم، لا يتشبهون بهم في مزاياهم ومناقبهم؟ وما لأغنيائنا دون أهل الأرض قد اختصوا (بفضيلة ...) الترفع عن الفقراء، والتعالي على أبناء هذه الأمة التي منها انحدروا وبفضلها عاشوا، وإنكارها إنكاراً ظنوا معه أنهم من طينة غير طينتها، وأن الله صنعهم من الأسمنت حين صنع البشر من الطين، وأنهم أبناء ماء السماء والناس بنو (ماء الأرض ...؟)

أكانت علّة ذلك أنهم شرقيون، وكان السبب هذا الشرق المظلوم، المتهم بكل نقيصة؟

قد يقول ذلك المفترون بالغرب من ضعاف الأحلام ومرضى العقول، في حين أن الكرم والإيثار بضاعة شرقية، من الشرق قد صدرت ... ولقد بلغ بالعرب حبّ الكرم مبلغ الإفراط، وزاد حتى كاد ينقلب لومة يؤخذون بها، فكيف يستقيم في المنطق (مع هذا) أن يكون هؤلاء الأغنياء بخلاء لأنهم شرقيون، أو لأنهم عرب؟ وهذه عادات العرب، وهذا دينهم هو القانون الأوحد الذي يحلّ مشكلة الغني والفقير، والذي يردّ عن العالم هذا الوحش الكاسر الذي جاء يحتويه بين فكيه اللذين هما الشيوعية والفردية، ويدعه أثراً من الآثار، فكيف تظهر مشكلة الغني والفقير في البلد الذي يدين أهله بهذا الدين؟

* * *

لا. ليست الشرقية علّة هذه المشكلة، ولكن العلّة كفر هؤلاء القوم بالشرقية ودينها وعاداتها كفراً لا يصلح معه تنبيه ولا بيان، وإنما يصلحه أن ينشأ أبناء هؤلاء الأغنياء الأشحّة على الخير، الأسخياء على الشر، نشأة أخرى ينقلبون معها ناساً آخرين، ولا يكون ذلك إلا بالمدارس والأدب. ولقد كان عندي في إحدى مدارس دمشق فصل (صف) فيه أبناء أفقر الفقراء، وأبناء أغنى الأغنياء، وكانوا في الفصل منفصلين ... كأنهم في معسكرين، وكان هؤلاء يأتون إلى المدرسة بالسيارات ويوصلهم إلى بابها الخدم يحملون كتبهم كيلا تتعب بها أيديهم الناعمة، ويدخلون الفصل مزهوين بثيابهم الجديدة، وأولئك ينظرون عورين ملوّعين. فما زلت (والله) بهم أبيّن لهم أن الفضل بالعلم والخلق والجد لا بالمال والثياب والمظاهر، وأضرب لهم الأمثلة بعمر وعلي وابن عبد العزيز ولنكولن والشيخ طاهر، وأزرى بالأغنياء لأعلمهم فضيلة التواضع، وأرتفع بأولئك لألقنهم فضيلة العزّة، حتى صار بنو الأغنياء يستحيون أن يأتوا بالسيارات ويتوارون حياء وخجلاً إذا جاءتهم عند منصرف التلاميذ لتحملهم إلى دورهم وقد كانوا لا يستحيون ولا يخجلون. وكانت النتيجة أن المعسكرين قد انقلبا إخواناً متصافين وظهر في كليهما تلاميذ نابغون ما كانوا لينبغوا أبداً لولا أن ألقوا من نفوسهم مذلة الفقر وكبرياء الغنى واستبدلوها بعزة الكرامة وعظمة التواضع!

فيا ليت أن المدرسين يتجهون جميعاً إلى هذا الأمر فيسدون إلى الأمة يداً ويكسبون من الله أجراً ، فإنه لا شيء أشد على نفس الفقير من أن يتحكم فيه أو يسمو عليه ابن الغني . وأنا (قد) أحل ما أرى من سلف الغني وأوهم نفسي أنه قد كسب ماله بيده وجده فحق له أن يستمتع بثمرته ، أما أن أرى الصلف من ابنه فلا ... فيا أيها الأغنياء لا تحملوا أبناءكم على رقاب الناس ، فإنكم لا تدرون كم عدواً تكسبون لهم ، وماذا تفسدون من طبائعهم حين تأبون إلا أن تدللوهم هذا الدلال ، وتترفوا بهم إلى حيث تبلغ أيديكم وأموالكم ، وحين تمكنونهم من أولئك الذين ساقهم الفقر إليكم ، واضطرهم فكانوا لكم خولاً أو أجراء ، فيشمخون عليهم بآنافهم الصغيرة ويذيقونهم ألوان الأذى ، والطفل (في الطبع) لا يعرف الرحمة ، ولا يدري ما العقل فكيف وهو ابن الغني قد ورث القسوة وتطبع عليها وقلد فيها أباه ؟ وإنا لنرى نحن المدرسين من ذلك العجب ... هذا تلميذ يأخذ كل يوم من أبيه ما يقيم أود أسرة من هذه الأسر الجائعة فلا ينفقه إلا في الشر ، والمال يذهب من حيث أتى ... رأيته يضن على رفيق له فقير بقرش يقرضه إياه قرضاً ليشتري به رغيفاً يتغذى به ، ويشتري بسبعة عشر قرشاً فرنسية (كاتو) يطعمها على مرأى منه لكلب له صغير مدلل يسوقه معه إلى باب المدرسة ثم يعود به الخادم في السيارة . وأبوه الغني يسمع بهذا فلا ينكره ولا يأباه . كأن الله قد خلق الناس بقلوب، وخلق هؤلاء بجيوب، فأبدلهم بالعواطف المال ، فهم لا يحسون ولا يشعرون ولا يدركون أن الله ما نقص من مال الفقير إلا ليتخذ له في الآخرة إن صبر ذخراً ، ولا زاد في مال الغني إلا لينظر أأعطى وشكر ، أم بخل واستكبر ، ثم لا يكون الغني إلا خازناً لهذا المال يحاسب به يوم القيامة فيشدد عليه الحساب . أفرأيت خازناً في مصرف أو شركة يظن أن المال ماله ، فيخالف فيه أمر أصحابه ، ويمنعه عمن هو حق لهم ؟

المال أيها الأغنياء مال الله فإن زاد لم يمكن إنفاقه إلا على الخلق (عيال الله) ، فأروني كيف تأكلون الذهب ، وتلبسون (البنكنوت) ، وتسكنون صناديق الحديد ؟ إن هي إلا معدة تمتلئ بما يقذف فيها والجوع لها خير أدام ، وجسد يستتر بما يلقى عليه والنظافة له أحسن حلية ، وبيت يكِن من الحر والقر، واللذائذ محللة ميسورة ، وما وراء هذا إلا أكل يفسد الهضم ، أو زنا يهد الجسم ، وخمر تحرق الأحشاء ، وبلايا معها بلايا أخرى من عذاب الضمير والغفلة وضياع الإيمان ، أو مآثر تنفع الناس، وترضي الله، ويجد صاحبها مكافأتها الاطمئنان والمجد في الدنيا ، والثواب من الله في الآخرة ، وهذه حكمة واحدة من حكم الله في الغنى والفقر لو تدبرتموها لتفتحت آذانكم فسمعتم كلمة الحق ، وكشفت الغشاوة عن عيونكم فقرأتم في خلق الله وفي كتابه آيات الهدى، ولكن اللذائذ قد شغلتكم يا أيها الأغنياء الأغبياء !

* * *

على أنه ليس أشد على الفقراء من منع الغني المترف صاحب الأطيان والمتاجر وبخله وصلفه وتبذيره ... إلا الموظف الكبير الذي ينال وهو قاعد على كرسيه لا عمل له إلا تشريف أوراق الدولة بتوقيعه الكريم فينال الثمرة التي يتعب فيها الفلاحون ، يجدون ويشتغلون في وقدة الضحى تحت الشمس المسعرة ، وفي زمهرير الليل تحت النجوم التي ترتجف أشعتها من البرد ، ليقدموا لهذا الموظف الكبير ثمن سيارته التي يسوقها ابنه خلال الحقول تياهاً مستكبراً ، وقصره الذي يلوح بين بيوت القرية كالجبار العابس الباسر ، وثمن كأسه المحرمة ولذته المنكرة ، ويذهبون فيأكلون خبز الشعير وينامون على الحصير . هذا الموظف الذي لا يكفيه وحده ما يدفعه أربعون من صغار (المكلفين) تباع فرشهم من تحتهم وقدورهم وثيابهم لتؤدى من ثمنها الضريبة . هذا الموظف يستعلي ويستكبر ويقبض يده عن الإحسان ويبسطها في سبيل السوء ، ويتشبه بأولئك الأغنياء الأغبياء وقد يسبقهم في ذلك أشواطاً ، ومن كان في شك مما أقول فليذهب إلى القرى والعساكر ...

ولسنا والله شيوعيين ولا برانا الله ندعو إلى هذه اللعنة (الحمراء) ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض ، ولكنا ندعو إلى (الشعور) الذي لا يكون الإنسان إلا به إنساناً ، والإحسان هو شعبة من شعب الدين الإسلامي . . . فمن اختار من الأغنياء وأرباب المرتبات الضخام ألا يكون إنساناً ولا مسلماً فليفعل !

على أن ما قلنا ليس إلا صدى لمقالات الأستاذ الزيات التي تتجاوب اليوم أصداؤها في البلاد العربية ، وفي الذي يقول الزيات بلاغ وزيادة

« بغداد — الأعظمية » علي الطنطاوي

الفلسفة الصغرى للحياة

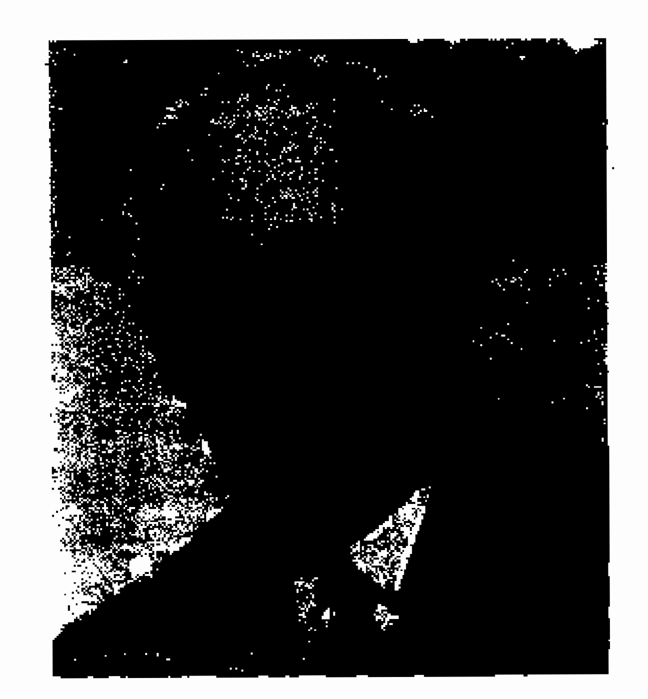
١ ـ كيف ينبغي أن نعمل ؟

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

ترجمة الأستاذ صلاح الدين المنجد

هذه أول خمس محاضرات ألقاها لثلاثة شهور خلت ، الكاتب الاجتماعي الكبير « أندريه موروا » عضو المجمع العلمي الفرنسي ، جلا فيها على القراء فن العمل ، والتفكير والحب ، والزعامة ؛ وبين في إحدى المحاضرات كيف نسن سعداء ناعمي البال ، إذا خلا الشباب واشتعل الرأس شيبا

وقد نقلنا هذه المحاضرات إلى العربية لما لاقته من إعجاب ، ولما فيها من آراء ذات شأن (المنجد)



هل علينا من حرج إن ذكرنا ما يقوله المعجم عن « العمل » فناقشناه وبينا النقص الذي فيه ؟... فإن حديثنا هذا ربما ملك علينا أمرنا فدفعنا إلى الإفاضة فيه . يقول المعجم : « العمل هو إنفاق جهد متعب لإتمام شيء » . ولكن هذا التعريف ناقص غير واف ، فلم يكون الجهد متعباً ؟ ... لندع المعجم إلى أربابه ولنضرب الأمثال : هذا صانع جرار يعمد إلى قطعة من صلصال فيسويها شكلاً يريده ويرضاه.. وهذا حارث يشق الأرض ويذللها للزرع ، فلا تلبث أن تهتز وتنبت الخيرات . وهذا كاتب قصصي يخلق كائنات يخلع عليها من عبقريته وخياله جمالاً ، ثم ينفخ فيها من روحه سحراً ... مستمداً عناصرها من البيئة التي تحيط به تملأ سمعه وبصره ، فيأتي بأثر رائع لا يفنيه الحدثان

فالعمل ــ كما أعتقد ــ هو تسليط قليل من التبديل والتحوير على العناصر التي نأخذها عن الطبيعة ؛ مما يجعلها أكثر فائدة وأشد جمالاً . وهو كذلك دراسة القوانين التي يخضع لها ذلك التبديل ، وتبيان حدوده ومداه

ولقد عرّف « باكون » العمل عند ما عرّف الفن ، فهو يقول : الفن هو الطبيعة مضافة إلى الرجل ؛ أي هو ما نأخذه من الطبيعة ، وما نضيف إليه من أشياء ، يظهر فيها أثر تفكيرنا وعبقريتنا . والحق أن كل عمل يجب أن يكون فنًّا

وسأذكر بادىء الأمر القوانين التي لها صلة بكل عمل ، ثم أفصل أحكام عمل الصانع اليدوي ، وعمل المرأة في منزلها ، والطالب في مدرسته ، والفنان في مصنعه ، والكاتب في مكتبه .

* * *

وعلى الرغم من وفرة الأعمال وتعدّدها ، فإن هناك قوانين تصلح لها كلها . فاختيار العمل الذي نجد في أنفسنا قدرة عليه وحباً له ، هو أول ما يجب أن نفكر فيه . فإن قوة المرء وذكاءه محدودان لا يتسعان إلا إلى مدى . والمرء الذي يريد أن يقوم بكل عمل لا يتقن شيئاً . ألا تنظرون إلى أولئك الذين أوتوا مواهب شتى ؟ يقول أحدهم : لو أني عانيت الموسيقى لحذقتها . ولو أني عالجت السياسة لسار ذكري واستفاضت شهرتي. فكل عمل هيّن لديّ . إنهم يكونون من هواة الموسيقى لا من غواتها ... ومن المفلسين في التجارة لا الرابحين منها . . . ومن الفاشلين في السياسة لا الناجحين . لقد كان يقول نابليون : إن فن الحرب يوجب أن يكون المرء قوياً كأشد ما تكون القوة ، في مضمار واحد . وأنا أقول إن فن العيش يوجب أن يستهدف المرء في هذه الدنيا أمراً ، فلا يزال يوجه إليه قواه ، ويسخر له مواهبه حتى يظفر به . ولذا كان خطأ أن ندع للأقدار دائماً مصير عملنا في الحياة . فالحياة جهاد ونضال ، ومن لم يعدّ نفسه لها فقد باء بفشل عظيم ... يجب أن يسائل الرجل نفسه فيقول لها :

ترى أي عمل أستطيع أن أكون له كفؤاً ؟ . أنظر إلى ميولك ومواهبك، ثم فكر طويلاً في نفسك، وفي أمانيك؛ فإذا كان لديك ولد ذو بأس شديد وقوة، فأرسله إلى الجيش، ودرّبه على الطيران، لأنه لا يصلح لأن يكون رئيس ديوان.

فإذا اختار المرء مهنة رضي عنها — فإنه واجد فيها أموراً لابد من أن ينتخب منها أمراً واحداً، ترضاه نفسه، ويقبله هواه. فالكاتب لا يستطيع أن يبدع الأقاصيص أو الروايات كلها، والسياسي لا يستطيع إدارة الوزارات جميعها... والمسافر يعجز عن اجتياز الأرض من شمالها إلى جنوبها. ولابد لنا من أن نكون في بعض الأحايين صماً لما تهمس به أهواؤنا في خاطرنا... فتسيطر على إرادتنا وتدفعنا إلى تنفيذ شيء. فكرّ طويلاً : وقدّر كثيراً، فلديك الوقت المتسع، ولديك التفكير، وكن كقائد الجند الذي يقضي على كل شغب بكلمة واحدة يلفظ بها أمام جنوده... فيستمعون إليه وينفذون أمره. نفذ أمر إرادتك كما ينفّذ الجند أمر قائدهم، وقل لنفسك : ما عسى أن أصنع في عامي هذا؟. أأصلح للامتحان؟ أأطوف في البلاد..؟ أأعمل في مصنع؟.. فكرّ طويلاً، وناقش آراءك نقاشاً هادئاً في زمن محدّد؛ واجعل لنقاشك نتيجة ترجع إليها، وتمضي في سبيلها، فإن التردد قاتل، والهوى مخيف

فإذا اطمأن الرجل إلى عمله... فليثبت له، وليضع حيال ناظريه ما يستهدفه في سيره البعيد وهو واثق بأنه سيبلغ القمة يوماً، وإن عظم الجهد، أو طالت الطريق، لأن أول كل صغير كبير...

لقد جاء «ليوتي» إلى مراكش، فوجد بلاداً عاث فيها الساسة، لا رئيس ولا ذخيرة ولا مال. ولو أن من أتي إليها كان غير «ليوتي» لدب الرعب في قلبه، وسيطر اليأس على نفسه. ولكنه كان ليوتي العظيم. لقد بدأ بالمدن فجمع كلمتها، ووحّد صفوفها، وسخرها لما يشاء بما يشاء. ثم انتقل إلى البادية، فمازال يؤلف كلمة كل قبيلة، ويسيطر على كل نزعة، حتى بلغ ما أراد... بعد أن جهد طويلاً وتعب كثيراً. إن الحصّاد لا يحصد سنابل القمح... في الحقل.. بنظرة، ولكن عوداً بعد عود. وإن منظفة الثياب لا تنزع الأوساخ عنها بلحظة، ولكن ثوباً بعد ثوب...

والعامل الحق لا يهمه شيء، ولا يعرف الخيبة أو الفشل.. ويعلم أنه سيبلغ ما يريد إذا اختار عمله، ثم قسمه، ثم مضى فيه... وويل للجبان..! يخاف كل عمل... فلا يعمل. أما الشجاع فهو الذي يستحق الحياة..!

* * *

وأنا لا أعجب لشيء كعجبي لأولئك الذين يرسلون الشكوى من هذه الحياة وطولها. أنا أسألهم : هل يعيشون ثماني ساعات في اليوم؟ هل يعملون فيها عملاً حقاً؟ فإن الكاتب مهما كان هزيل القريحة إذا سوّد كل يوم صفحة واحدة يجد في أيام شيخوخته تراثاً عظيما يجعله بين النابغين، كبلزاك وفولتير

ولكن هل يكفي أن نجلس إلى المنضدة؟ ألا يجب أن نخضع لنظام في عملنا؟ فلا ندع عملاً قبل أن نفرغ منه، لأن اللذة بالعمل تتزايد تزايداً هندسياً إذا لم ننقطع عنه، وهذا الأمر حق عند الكاتب الذي يطلب وقتاً ينسى فيه العالم الخارجي ويتفرغ إلى أفكاره وآرائه، وهو أيضاً حق عند الصانع أو الرئيس لكي يتقن العمل وينجو من شر المحيط.

وخليق بالعامل أن يبتعد عن البيئة الخارجية إذ ابدأ العمل، لأن هناك طفيليين لا يفهمون عنه ولا يشفقون عليه، فهم يتكلمون ويثرثرون، ولا يفكرون في أنهم لو تركوا من يتكلمون معه، لاستطاع القيام بعمل ذي شأن. فهؤلاء لا يزيدون المرء إلا ضراً. إنهم يسخرون منه، ويستهزئون به ثم يدعونه متحسراً على ما فات ضاحكين.

بورك يا غوته! لقد أدركت الحقيقة منذ سنين وسنين. لقد قال : «يجب ألا تضيع وقتك مع أناس يأتون إليك دون أن تعلم. إنهم يفيدون منك علماً ثم يدعونك. إن هذه الزورات لا تفيد شيئاً. إنها تفسد عليك آراءك، وتنقلك إلى عالمك الخارجي الذي هربت منه، بعد أن اصطفيت منه صوراً جئت لتخلع عليها مسحة من عقلك فتجعلها آية للناس. أنا غني عن أفكارهم فعندي ما يكفيني» وليحدد طرائق العمل؛ فإذا نظر فيها اختطه لنفسه بعد سنوات لقي كل شيء هيناً، فيثق آنئذ بقدرته ويرضى عن سعيه فلا يتقاعس، ولا يخلد إلى الراحة والهدوء. على أنه يجب أن نعلم الأشياء التي تطلب عملاً مباشراً كي نقوم بها ثم نتكل على خطتنا

ونسعى وراءها بملء قلوبنا . وليكن قلبك وعقلك متجهين دائماً نحو الهدف . فإذا أصبته يوماً استطعت أن ترجع على خطاك . تتلمس الطريق على هدى وتنظر إلى العقبات التي اعترضتك فتستمد من ذكرى ظفرك بها قوة لعملك القادم وأملاً لعيشك الجديد

إن النوابغ يدأبون بشغف على العمل . فلا يدعونه حتى يفرغوا منه ، ولا يكبون على عمل آخر قبل أن يتموا الأول ، وتكون عقولهم متجهة نحو طريق واحدة كما يقول المثل الأمريكي. وربما كان ذلك باعثاً على الضجر مسبباً للملل ، ولكن ما أهنأها ساعة يتغلب المرء فيها على العقبات ، ويصل إلى هدفه ظافراً !

* * *

فإذا اخترت لنفسك عملاً ، فإنك تختاره حسب ما تستطيع أن تقوم به قواك ، وتوصلك إليه مواهبك . ومن الخطل اتباع أمر لا نجح لك فيه . والفشل يشل القوى ويفقد النشاط . كان « غوته » ينصح للشعراء الشباب أن ينظموا قصائد قصاراً عوضاً عن ملحمة واحدة كبرى، لكيلا يفشلوا فييأسوا على مافاتهم. وكان صموئيل بوتلر يقول : « إذا أكلتم العنب ، فابدأوا بما ينضج من حبه » وجدير بالمرء في عمل صعب متشابك أن يجزئه إلى أقسام ، ثم يعمد إلى كل قسم فيتمه . فإذا كانت أمامك طريق صعبة طويلة تود أن تسلكها فقسمها إلى مراحل لأن من الصعب أن تمضي فيها وتصل إلى منتهاها في لحظات ، ثم اقطع كل يوم مرحلة . فلا تلبث إلا قليلاً حتى تجد نفسك في غايتك ، دون أن تلغب نفسك أو تجهد جسمك . كن كالمصعد في الجبل الآمل في بلوغ القمة ؛ إنه لا ينظر إليها دائماً لأنه منهمك في الخطوة التي سيخطوها . . . أما القمة فإن بعدها سحيق . . . يخيفه ويشل قواه إذا حدق فيه .. فليمض رويداً .. وعسى بالعامل الدائب أن يصل إلى مبتغاه .

إن تدوين تاريخ لأمة من الأمم منذ أيامها الخاليات إلى أيامها الحاضرات لعمل صعب يخافه الناس ... لأنه يبدو من أعمال الجبابرة الذين سما مقامهم وعظمت قدرتهم . ولكنك إذا قسمته إلى عصور وبحثت في كل عصر فإذا فرغت منه انتقلت إلى آخر غيره ، لم تلبث أن تجد يوماً عملك الضخم بين يديك فتقف متعجباً دهشاً . ثم يثبت القلب بعد التجاريب ، وتدب الحماسة في النفس ، ويستولي عليها الاطمئنان ؛ فإن الكاتب الذي آلف كذا وكذا من الكتب لا يصعب عليه إتمام كتاب بدأه . إنه يجسر كما جسر « مارتن دوكارد » و « دوهامل » و « جول رومان » و « لا كروتيل » على وضع عدد عظيم مما لا أستطيع معه صبراً ... »

وقال أيضاً : « إن الذي يتوق إلى الخلود ويود إخراج آيات فنية رائعة لجدير به ألا يدع هواه يسيطر على نفسه »

يقول الطفيليون لك : أين أنت ؟ إننا لا نراك ! تعال غداً لنلهو أو لنصيب طعاماً معاً ... ! فقل لهم ولا تخش شيئاً لست بحاجة إلى لهوكم وغذائكم ... فدعوني وحيداً ...

وكان « غوته » لا يجالس أحداً إذا انغمس في الكتابة أو النظم ... فإذا جاء إليه رجل على الرغم من خادمه العجوز أرسل يديه إلى ظهره ولاذ بالصمت وتكلم بحاجبيه وعينيه ، فيمل الزائر منه . . ويدفعه هذا الصمت القاتل إلى الهرب . أما رسائله فكان ينتزع منها ما فيه فائدة وعلم ، ويرمي بالتي يطلب أصحابها منه شيئاً إلى النار ويقول : « ويحكم يا شباب هذا العصر ، إنكم لاتعرفون للوقت ثمناً ... »

يقول نفر من الناس : هذا غرور بالنفس واحتقار للزائرين . فكم رجال عظماء كانوا يجيبون على الرسائل ! وكم طفيليين هم جديرون بالرحمة والعطف . ويغالي هذا النفر ... فيصم غوته بأنه رجل غير إنساني . ولكني أسألهم : هل يستطيع رجل غير إنساني أن يبدع لنا « فوست » الخالدة أو يخلق « ولهلم مستر » الرائعة ؟ إن من يجهل أمره ... يأكله الناس . . فيمضي دون أن يترك لنا أثراً نفيد منه ... والرجل الذي يحب العمل ، ويجد فيه لذة ومتعة ، ويقبل عليه بشوق وحماسة ... لا يريد إلا رجالاً على شاكلته . هو يساعد الناس ... ولكنه يفر من الحديث السخيف ، والثرثرة الخفيفة . ولذا كان « غوته » ينصح أيضاً للأديب أن يهمل حوادث يومه التافهة ، إذا لم يكن فيها ما يغذي خياله أو يهيج نفسه . فلشد ما نكون أغبياء ، عندما نقضي ساعة من يومنا في الاستماع إلى أخبار الحرب القادمة ، وساعة في نتائجها ... وأخرى في أسبابها ... ولم نتقلد بعد كرسي الوزارة ، أو نحمل عصا القيادة ، أو نمسك بقلم الصحافة ... إننا نسيء إلى بلادنا ...

لأننا ننفق الأوقات فيما يضرنا ولا ينفعنا ، لحياتنا قصيرة ... وبلادنا ترنو إلينا

على أن هذا النظام الذى اتبعه « غوته » فى عمله وخضع له ، هو نظام الإحساس الرهيف . ونحن لا نستطيع أن ندع أحاسيسنا تسيطر على أنفسنا ، فتعجزها عن العمل . أنظروا إلى العامل البائس الذى غدا إلى عمله ، وترك ابنه فى داره ، يعالج الحمى ... فالفكر التى تملأ رأسه تتشى على سمعه وبصره ، فيخلد إلى الأحلام ... وتعصف به الطيوف السود والأشباح الرعبة . وربما أمسك بالقلم ليخط رسالة ... ولكنه يبقى صامتاً حيران ... أمام ورقته البيضاء ... تفر منه الكلمات ... ويلتاث عليه الكلام

(دمشق) صلاح الدين المنجد

أعلام الأدب

يوريبيـــدز

لغتـــه . فنه . وطنيــاته

للأستاذ دريني خشبة

أعظم الآثار الفنية فى عالم الآداب هى تلك التى لم يستطع أحد إلى اليوم نقلها من لغة إلى لغة ... فالقرآن مثلاً لا تعرف قيمته الفنية إلا فى اللسان الذى نزل به ، وقد فشل الكثيرون فى ترجمته ترجمة فنية سائغة تحتفظ ولو بالقليل جداً مما اختص به أسلوبه القوى البارع المسبوك المتين من بلاغة واتزان وموسيقى وشدة أسر ... وكذلك الإلياذة والأوديسة والأنييد وفردوس ملتون ... إنه لا توجد لهــذه الآيات الأدبية الفنية البارعة ترجمات تعادلها فيما امتازت به من خصائص لغاتها التى أنشئت بها ، فما تستطيع الترجمة إلا أن تشوه جمال الأصل وتمسخه مسخاً ... ومثل هذا يقال فى درامات يوريبيدز ، فإنه لم يستطع أحد ممن نقلوها إلى لغاتهم أن يحافظ على روح الشاعر العظيم وقوة بيانه . وهذا شلى أحد عباقرة الشعراء الإنجليز وأحد المعجبين بيوريبيدز والمتمكنين فى اللغة اليونانية القديمة ... لقد أحصى له النقاد أخطاء كثيرة فى ترجمته درامة السيكلوبس . . ثم عدوا له ضروباً من الشطط ابتعد بها عن الشاعر العظيم ... ولقد كان شلى معذوراً من غير شك ، فلقد بلغ يوريبيدز الذروة بالبيان الأتيكى واللغة الأتيكية .

وقد كان مثل أبى الطيب فى الشعر العربى ، ارتفع ثم ارتفع ، فلما مات لم يخلق الله له نداً يحلم بمرتبته فى الشعر والحكمة . هــذا ولقد أوتى يوريبيدز أضعاف ما أوتيه أبو الطيب من قوة الأسلوب وعمق التفكير ، لا فى بيت ، أو مقطوعة ، أو قصيدة ، أو مرثية أو مدحة ؛ وإنما فى درامة طويلة فيها حوار وفيها خطاب وفيها غناء وفيها بكاء وفيها تدبير وفيها تصوير لحادثة متشعبة ، هى كالكائن الحى ، يملأ المسرح ، ويملأ الآذان ، ويملأ الأبصار ، ويملأ القلوب

انتهت الدرامة بعد يوريبيدز فى تاريخ الأدب اليونانى . . هكذا يقول المؤرخون ... وهم يقصدون الدرامة العالية ذات الفن الرفيع ... وقد عاش يوريبيدز يؤلف للمسرح قرابة خمسين سنة ، ومع ذلك فقد عاش غريباً فى قومه ، بغيضاً إلى غالبيتهم الضيقة الحنقة لشدة ما ثار بتقاليدها وسخر من أنهامها ... فلما مات ... أخذ يعيش بأدبه العالى من جديد ، وأخذ يخلب القلوب ويسحر الألباب بدراماته التى نيفت على التسعين ، والتى ظلت تمثل بعد موته ستمائة سنة أو تزيد ، والتى ظلت شغل النحويين واللغويين من علماء الأمم المختلفة فى اليونان وفى رومة وفى بيزنطة إلى ما قبل ألف سنة من الزمان . . . فما نجد لغوياً من مؤلفى المعاجم إلا وهو يستشهد به فى أكثر ما يستشهد على صحة كلمة أو سلامة تعبير على نحو ما يستشهد مؤلفو القواميس عندنا بأشعار الجاهلية والقرآن الكريم

ومع هذه المرتبة الرفيعة فى اللغة فلم يستحدث يوريبيدز شيئاً ذا بال من وجهة الفن المسرحى ، بل هو قد أخذ ما استحدثه سوفوكليس دون أن يغير منه شيئاً . ويبدو أن اشتغاله بالفكرة العميقة واستعراض الآراء السيكلوجية التى استحدثها فى أكثر دراماته ، والتى لم يعرفها تاريخ المسرح قبله ، ثم استعراض الآراء الفلسفية التى طبعها فيه أساتذته ، وأصدقاؤه السفسطائيون ، ثم عنايته الشديدة بالصوغ الشعرى ، وتجويد أغانى الخورس ، كل ذلك حال بينه وبين التجديد المسرحى الفنى ، أو ما يعنون به (تكنيك) المسرح من وجهة الشكل لا من وجهة الموضوع .

على أن ليوريبيدز مع ذلك خصائص ميزته من أقرانه ،

ومن أهمها تلك المقدمات الطويلة الطلية الاستهلالية التي يهيء بها الأذهان لمشكلته الدرامية والتي يقصها بلسان شبح كما في (هكيوبا) أو بلسان إله كما في (هيبوليتس) أو بلسان أحد أشخاص الدرامة كما في (هيلينا) ... الخ ...

وليس يعترض على ذلك بأنه لم يتبع تلك السبيل في (إفجنيا أوليس) لأنه لم يكمل هـذه الدرامة كما أسلفنا بل أكملها غيره، وربما بدلها غيره أيضاً.

ومن ذلك أنه كان يحل عقدته الدرامية في اللحظة الأخيرة بظهور شبح أو إله أو سر دفين ... فيظهر ما كان محجوباً عن الأفهام، وهو ما يسميه نقاد الآداب الكلاسيكية Deus-ex-Machina أو (إله من الآلة) أو تسخير إله لغرض درامي كما تُسخّر الآلة. وكان أرسطو يكره ذلك في درامات يوريبيدز؛ وإن كان سقراط من قبله لا يرى في ذلك ما يعاب به الشاعر — والحقيقة التي اتفق عليها نقاده، وفي مقدمتهم الدكتور فيرال[1] (Dr. Verrall) إن هذا هو أشق عيوب يوريبيدز بالإضافة إلى طول جواره الذي يجعله إلى الخطب الرنانة أقرب منه إلى الحوار المسرحي، فقد يطول ما يلقيه الممثل الواحد في المقالة الواحدة عن صفحتين أو ثلاث، وهذا ما كان يسخط أرسطو، وما يزال يسخط مترجمي يوريبيدز.

هذا، وينبغي ألا ننسى له براعة تنقله بالنظارة من المشهد إلى الآخر وما يثيره فيهم من الشغف والشوق والتشوف لما بعد ... ثم ينبغي كذلك أن نذكر أن أجمل الأغاني — ولا سيما أغاني الحب — هي ما نظم يوريبيدز

أما ما يعيبه بعض النقاد على الكورس في دراماته وعدم قيامه بما جعل الخورس له في سائر الدرامات اليونانية من وصل للحوادث وتمهيد لما يجيء بعد ثم شرح لبعض الوقائع الطويلة التي لا يتيسر تشخيصها على المسرح، فهو قول مردود لأن الذي صنعه يوريبيدز وحصر به مهمة الخورس للموسيقى والغناء هو سمو منه بوظيفة الخورس، واختفاء ظلال خلابة من لذة الألم في المشاهد الشجية وجمال الاتعاظ في مشاهد العبر، وتذوق الجمال في المشاهد المنتزعة من صميم الطبيعة .. وعلى هذا فقد قصر يوريبيدز خورسه على إلهاب الشعور وإذكاء الحس بالموسيقى التي تتخلل كل مشهد من المشاهد، والغناء الذي لا يجيء (نشازاً!) كما نشهد في بعض دراماتنا العصرية

وطنيات يوريبيدز

لم يتأثر شاعر يوناني بروح بركليس كما تأثر به يوريبيدز، ولم يبد هذا الروح واضحاً جلياً في أدب شاعر كما بدا واضحاً جلياً في كثير من دراماته .. لقد سمعه يخطب قبيل حرب البلوبونيز الأولى وهو يشيد بمناقب أثينا وما حلته من قسط عظيم في تاريخ اليونان حينما حررت شعوبها من ربقة الفرس وتعرضت وحدها للدمار والحريق حتى إذا ظفرت بعدوها وطهرت منه البر والبحر عادت تنشئ لجميع الشعوب الميلانية حضارة رفيعة قوامها الديمقراطية والفن والأدب والفلسفة ... ثم قال بركليس كلمته الخالدة التي أوردها في تلك الخطبة: «لم لا تحدق الشعوب والقبائل اليونانية كعصبة من العشاق العاميد حول أثينا؟» ثم ذكر ما لأثينا من الفضل في التعريف بالفضيلة ونقلها من حيز النظريات إلى عالم الدولة ومعائش الشعب وسياسته العليا، وقد خاض يوريبيدز معظم حروب البلوبونيز (بين أثينا وأسبرطة) وكان حب الوطن يعمر فؤاده بالإيمان، وكان يحزن أشد الحزن لهذه المجازر التي تنشب لأسباب تافهة بين شعبين شقيقين وإن تكن الحرب في الحقيقة بين ديمقراطية أثينا وأتوقراطية أسبارطة ... وقد كان يوريبيدز من أنصار السلام آخر الأمر وإن يكن قد ظل جندياً من سن الثامنة عشرة حين اعتبر رسمياً (إفيبوس) أي شاباً لائقاً للجندية إلى أن بلغ الستين ... وقد أثار عليه ميله للسلام حفائظ مواطنيه، تلك الحفائظ التي منها ما عرفنا من ثورته على تقاليد السلف وما كان يتناول به النساء في دراماته من تحليل، ودفاعه السيكلوجي عن الزناة والقتلة وجنايات المأفوكين، وما سنعرفه عنه في هذا الفصل من سخريته بالآلهة وتجديفه في دين الإغريق ورمي أرباب الأولب بأقسى التهم وأفتك سهام التجريح ... لكن يوريبيدز مع ذلك كان يحب أثينا لأنه كان لا ينسى إذ هو طفل والأثينيون ينقلون إلى سلاميس العجائز من الرجال والنساء والأطفال — وهو منهم إذ ذاك — والفرس البرابرة يحرقون القرى والمعابد على الشاطئ فتندلع ألسن النيران لتكتب في صفحة

(١) في كتابه الفذ Euripides The Rationalist

التاريخ وقائع هذه الحرب بحروف من نار ... لم يكن يوريبيدز ينسى هذا المنظر الفظيع ، ولم يكن يبرح ذهنه بعد إذ شب أن أثينا الضعيفة الديمقراطية قد انتصرت على فارس القوية المستبدة، وأن الأثينيين القليلين الجياع قد انتصروا ذلك النصر لأنهم كانوا غير معتدين على أحد ولا طامعين في ملك أحد ... ولأنهم « أحرار أيها الملك ، ولكنهم غير أحرار في عمل أي شيء ، لأن لهم سيداً واحداً يخضع له الجميع يدعونه القانون ! » كما قال أحد الأسبرطيين لعاهل الفرس أجزرسيس[1] وهو يسأله لماذا لا تفر هذه الحفنة القليلة من الناس أمام عسكره اللجب الكثير !

هكذا أحب يوريبيدز وطنه أثينا الذى أشاد به فى كثير من دراماته . وهكذا أحب يوريبيدز الديمقراطية ، لكنه سخط على الديمقراطية جميعاً حينما ثار وطنه عليه مع أنه من أعظم أسباب رفعته ، وحينما رأى الديمقراطية ترفع الأوشاب وتكوّن منهم زعماء الشعب فيتحكمون فى السادة الأخيار من رجال الذهن والخلاصة الصالحة من نجباء الأمة ثم يظل هؤلاء الأوشاب محترفى سياسة ، وموضع تقديس الرعاع والدهماء ؛ والويل كل الويل لمن يجرؤ أن يتقدم بكلمة ولو كانت كلمة الحق ، أو أن يرسل فيهم لساناً ولو كان لسان الصدق ...

من وطنيات فى ميديا

حينما لتى جاسون زوجته ميديا بعد إذ كشفت سره دار بينهما حديث طويل فيه مرارة وفيه ثورة وفيه جائحة من السباب والشتائم والتعيير صبتها ميديا على رأس جاسون الذى خدعها وغدر بها ولم يذكر ما صنعت فى سبيله ولم يجزها جميلاً بجميل :

جاسون[2] : ... كيف تزعمين يا امرأة أنى لم أجزك على ما قدمت إلىّ من جميل ؟ لقد أخذت أضعاف أضعاف ما أعطيت ! لقد نقلتك من أرض البربرية الخبيثة الجثة إلى فراديس اليونان الفياحة ، حيث عرفت لأول مرة جمال العدالة ، وبهرك سلطان القانون فأقلعت إلى حين عن وسائلك الوحشية ... وها قد ذاعت حكمتك بين جميع الإغريق ، ولو لبثت بين عشيرتك لما عرفك ولما أحس بوجودك أحد ، بل لم يجر ذكرك على لسان ! !

ومن هذه المقالة نفسها فى ذم النساء :

« إنك لا تعذليننى هذا العذل إلا لأن نفسك مقروحة من غريمك ، ولكن هذا دأبكن جميعاً يا بنات حواء ، إذا طابت أهواؤكن فى أكناف أزواجكن فقد تمت سعادتكن ، فإن لفح مهاد الزوجية لافح من سوء حظكن فقد تبدلت الحال غير الحال وانقلب كل ما كان خيراً فأصبح شراً مستطيراً ... كم كان خيراً للانسان أن يستطيع النسل بطريقة أخرى غير طريقة النساء ! ! ثم ما كان أجمل ألا يخلق جنسكن ؟ ! إذن ما حاق بنا شر ولا عرف وجه الأرض موبقة من الموبقات ! ! »

ومن أغانى الخورس فى تمجيد أثينا ص ٩٧ نقتطف هذه السطور :

« يا أبطال شعب إركتيوس! يا أنسال الآلهة .. يامن يطعمون ثمار الحكمة[1] الناضجة ، ويتنشقون ألطف أنفاس النسيم ، وينعمون أبداً بالسماء الصافية ، ويضربون فى تلك الدروب المأهولة حيث كانت عرائس بيريا ترطب أرواح الآباء بطهر السرة وتلقن آلهة الألحان كيف تتغنى قصتها الأولى »

والسطران الأخيران من الفقرة الثانية من ذلك الخورس نفسه :

يخطر الحب فى مهرجان الحكمة فى ناديك ، وتدل كل فضيلة وتختال حين تؤثرها آلهة الجمال برعايتها التى تنميها وتشيع فيها الجمال ! »

أطفال هرقل

عند ما مات البطل العظيم هرقل (هركيولز) استبد ملك آرجوس بزوجه وأطفاله ، وظل يسقيهم من الهوان ألواناً حتى اضطروا إلى الفرار مع راعيهم يولوس ... وقد رفضت جميع الممالك اليونانية إيواءهم خوفاً من بطش ملك آرجوس حتى ينتهى بهم المطاف إلى المدينة الحرة أثينا فيعطف عليهم ملكها الشجاع الذى يوبخ قائد الأرجيف الذى جاء يقص أثرهم ويعود بهم إلى آجوس ... ويثور القائد ويهدد بإعلان الحرب على أثينا فى الحال إن لم يسلم ملكها (ديموفون) الفارين من الأرجيف . لكن الملك يثبت كالصخر وينتهر القائد ، لأنه لا يخاف الحرب من أجل المحافظة على الكبرياء الوطنية، ولأن الذى يلوذ بأثينا فإنه آمن ، لأنه يلوذ بالمدينة الحرة

(١) هيرودوتس — ٧ — ص ١٠٤

(٢) ترجمة المقتطفات وتلخيص الدرامات من طبعة دانت وميديا من ترجمة وودهل ج ٢ ص ٨٦

(١) فى الأصل اليونانى Sophia التى اشتق منها اسم السوفسطائيين وتعنى الحكمة أو الفضيلة

القائد كريون : إذن يهرع الأشرار من كل مكان ليلوذوا بأثينا ؟

ديموفون : هذا الهيكل[1] حل لكل لاجىء !

القائد : سيرى أولو الأمر فى مسينا غير ما ترى ؟

الملك : أولست ملك هذه البلاد إذن ؟

القائد : فلا تجر على رؤوسهم الويل بسوء عملك !

الملك : أفأنت تعد ما أرفض من استباحة هيا كل الآلهة سوء عمل ؟

القائد : لست أحب لك أن تجازف بحرب ضد الأرجيف !

الملك : أنا قرينك فى محبتى للسلم وتعلقى به ، لكنى مع ذاك لن أخيب رجاء هؤلاء المساكين !

القائد : يد أنى مكلف بالقبض على من هم منا !

الملك : إذن فلا تحسب أنك مستطيع العودة إلى آرجوس بسهولة ...

القائد : سأجرب لأعلم ما وراء التجربة !

الملك : إذا خيل لك أنك قادر عليهم فستندم على جرد تسهم !

ويستمر الحوار على تلك الوتيرة ثم يقضى القائد ثائراً مرعداً وتعلن الحرب ! والدرامة تكبر من أساليب الديمقراطية فى الحكم وتسفه الوسائل الاستبدادية فيه

وفى درامة (نسوة متضرعات) التى تدور حوادثها على توسل نساء الأرجيف لدى قادة أثيكا فى رد جثث أبنائهن قتلى الحرب بين أثينا وآرجوس ، منظر وطنى رائع بين قائد طيبة وملك أثينا ... فإن القائد يدخل متبجحا سائلاً : « من الحاكم بأمره[2] فى هذه البلاد ؟ » . فيصحح له الملك خطأه ويجيبه : « ليس هنا حاكم بأمره يا صاح ... إن هذه لمدينة حرة ... وإذا قلت مدينة حرة فإنى أعنى أن كلاً من أفراد الشعب يأخذ فى دوره بنصيب فى الملك ، وليس للأغنياء عندنا من دون الفقراء امتيازات ما ! »

وليوريبيدز درامات وطنية مفقودة نظمها قبيل حرب البلوبونيز الأولى أو عقبها يطول بنا البحث إذا تناولناها هنا ، فنكتفى بالإشارة إليها ، ويحسبنا أن نذكر منها درامات إيجيوس ، وثيذيوس ، وإرختيوس

دريني خشبة

(١) للتطرق هيكل زيوس فى الفوروم عند ماراثون (دائرة – وودهل – ج ٢ ص ٣٢١)

(٢) الكلمة تيرانوس ومعناها الملك المستبد

الحـــــاجة

للشاعرة أبي هريد ولككس

للآنسة الفاضـــلة « الزهرة »

أيتها الحاجة التى طالما حسبتها عدوتى الكاشحة ، أنت أيتها السيدة الجافية ذات المحيا الشتيم المكفهر لقد أصبحت أعرف جيداً الآن وقد عز اتفاقه بيننا ، أنك كنت لى صديقة عزيزة ، بريئة مما رميتك به من اللائمة منزهة عما عرضته لك بالنكير ...

حقًا إن أفضل ما قمت به من الأعمال وأبرع جولات خيالى الجنح ، قد كانت من فيض وحيك

وقد أهاب بى صوتك القوى الحازم ، إلى ركوب ظهور العوائق ، وتخطى رقاب الموانع ، كما أقدم بى تحضيضك ، على حسن السعى وشحذ عزيمتى على الجد والكفاح

وأغرانى بأن أضرب للحياة جأشاً ، وأثبت للوجود عقداً

ولولا ما كنت تنفحينه فى من روحك الحدث تلك الجذوة المحتدمة فى طين نفسى

ولولا مهمازك الحاد الذى لم يدعنى ألوى عنان السير عن عقلة ، أو أنكل لحظة عن خطة ، لما عرفت مدى قوتى وحدود جهد طاقتى

ولولا سيادتك القاصرة على حياتى وما ألجأتنى إليه سراراً من حمل الأعباء ، والنهوض بالرزلاء ، والتسامى عن آفاق اليأس والقنوط لما اهتديت إلى منجم الكنوز الدفين فى غيابات نفسى

ولئن كانت قد تفرقت سبلنا ، وتشعبت طرقنا ، واختلفت متجهاتنا ، وبعدت نوانا ، وانشقت عصانا اليوم

ولئن لم يتح لى أن ألقاك ثانية ، إلى أن يقطع بى السبب ويضحو ظلى وتطوى صحيفتى ، فإنى أريد أن أستغفر لك من هذه الأزاهير الشذية إكليلاً أزين به مفرقك ، لكى تتعرف القلوب الأخرى إليك وتجد فيك أبر صديقة

الزهرة

عود إلى التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قلت إن الشاعر أو الناثر لا يُحكمُ عليه ولا يقال إنه متفائل أو متشائم بما يقوله فى حالات نفسه العارضة المتغيرة ، لأن كل نفس تفيض بالسرور والأمل تارة ، وتنقبض بالحزن تارة ، والنفس التى لا تستطيع إلا السرور فى موطن الحزن إنما هى كالأبله الذى لا يستطيع إلا الضحك ، وحالة هذا ليست فضيلة ولا قوة. وقد يتاجر بعض تجار الأدب باسم التفاؤل ، وإنما تفاؤلهم سلعة مغشوشة وعملة زائفة يريدون أن يربحوا بها الحمد والثناء ، وأن يغروا بها الناس ؛ وهذا التفاؤل أيضاً ليس فضيلة فى النفس ، بل هو نقيض الفضيلة ، وإنما يُحكمُ على القائل بما يقوله فى وصف أمله فى الحياة ، وحثه إلى المثل العليا ، وما يقوله فى تمجيد جهود الناس فيها كما فى قصيدة : (أبناء الشمال) أو (شهداء الإنسانية) أو (إلى المجهول) أو (الباحث) أو (قوة الفكر) أو (العصر الذهبى) أو (الحق والحسن) أو (النشوء والارتقاء) .

ويُحكمُ عليه أيضاً حكماً صادقاً إذا نظر الناقد فيما قاله القائل فى وصف محاسن الحياة والأرض والكون ؛ فإذا استطاع أن يُجمِّلَ الحياة بقدرة فنه على وصف آيات الكون والطبيعة ، لم يستطع الناقد أن يقول إن التشاؤم غالب عليه ، ولا أدرى كيف يستطيع ناقد أن يقول هذا القول إذا قرأ لى وصف محاسن (الصحراء) ... حتى الصحراء تجد فيها النفس ، وفى مظاهرها المختلفة محاسن ... وقصيدة : (البحر) . وقد نشرت فى الرسالة أيضاً وفيها وصف تلون البحر وتغير مناظره ووصف جزره :

ومن جزرٍ مثل الجنان مضيئة ... كأن جهلتها السائلات الدوائر

ووصف (عيون الندى) :

فليس عيون الغيد أشعلها الصبى ... بأحسن فى لألائها حين تعطف

ووصف الربيع فى قصيدة (الفصول) :

أصواتك يا روح الربيع فهيِّجى ... حباً كجسم الغيد فى لألائه

ووصف النهر المترقرق فى قصيدة (على بحر مويس) :

مهدّمٌ فى صيفه لؤلؤاً ... لو أنّ لؤلؤ سيلا يسيل

ووصف مناظر الغابة وأسرارها التى تحكى جميع شجون النفس فى قصيدة : (الغابة) . أما وصف : (شريعة الغابة) من فتك فى آخر القصيدة ، فهذا ليس من التشاؤم . بل هو تحليل لصفات النفوس يدل عليه تقاتل الآحاد والأمم فى العالم ، ويعترف بصدقه كل إنسان ما عدا الإنسان الذى لا يستطيع إلا الضحك دائماً ، وما عدا الإنسان الذى يتخذ الباطل فى وصف النفس تجارة ربح ويسميها التفاؤل . ووصف مظاهر الضوء ومباهجه ومحاسنه فى قصيدة : (الضوء) دليل آخر على التفاؤل الصحيح غير المزيف :

أو مثل فجر الآمال إنّ لها ... فجراً وليلاً يضاء بالذكرِ

كأنك أنتَ سُلّمٌ لعلا ... ء النفس تسمو لآية العُمر

تُخالُ من رقة الرامم معـ ... ـنى لا يراه البصير بالبصر

والساخر الذى يستطيع بالرغم من سخره أن يقول كما قلت فى قصيدة (سؤر العيش) :

والسخر مرآةُ إبليس التى نصبت ... إن تُبصر الحق فيها عاد كذّابا

فيجعل السخر مرآة الباطل ومرآة إبليس فى بعض الأحايين لا يكون التشاؤم غالباً عليه ، والذى يستطيع أن يصف سحر : (ضحكات الأطفال) كما استطعت فى قلبه نور الأمل لأن الأطفال هم أمل الحياة :

ضحكة منك صوتها صوت تغريـ ... ـد العصافير تستلين القلوبا

ضحكة ردت الشيب شبابا ... وأماتت من الوجوه الشحوبا

ضحكات كأنها كلمات الـ ... ـله تمحو مآثماً وذنوبا

إلى آخر القصيدة . وقد قلت فى وصف أثر مظاهر الجمال فى قصيدة (قبس الحسن) :

يا شمس حسن حياتنا ثمرٌ ... ينضج فى ضوء حسنك الثمر

على أن الحسن فى الأحياء والأشياء ذوق ورمز ومعنى واصطلاح تخلقه النفوس . ومن أجل ذلك كانت سعادة المرء فى نفسه كما قلت فى قصيدة : (طائر السعادة) :

ومن لم يجد فى نفسه ذخر عيشه ... فليس له بين الأنام نصير

وكره الإنسان للعيش هو من حبه للعيش كما فى هذه القصيدة أيضاً :

قلى العيش حب العيش قد شط رغده ... كما يُبغضُ المهجور وهو أسير

كن يبغض الحسناء يقلى دلالها ... وفى الصدر منه لوعة وزفير

وقلت فى وصف أثر النفس فى النفس فى قصيدة : (النهار ويوم بؤسه) وكيف أن الوفاء فى أحد الناس جعله يلقى يوم بؤسه ويقول:

ألاَ علّلانى يا خليلىّ أنتما ... على العيش بالإحسان والصدق والندى

وأعترف حتى فى قصيدة : (ثورة النفس) بما فى النفس البشرية من حسن :

تريدين أن الجسم يشدو كأنما ... يضيءُ به منك الضياء المحجّب

وفى جمال فجر النهار وفجر العمر من قصيدة (فجر الشباب) :

وكان للفجر قلب خافق أبداً ... من الحياة ووجه كله لطف

وفى إشادة الحياة بالجد والعمل والأمل فى قصيدة (العظيم فى قوله) :

رأيت حياة المرء فى نفع قومه ... ولاخير فى كنز إذا كان خافياً
وما نُصب المصباح إلا لضوئه ... وإن كان فى أحشائه الدهن فانياً

وفى حب الشعراء للحياة من قصيدة (الشاعر وجمال الحياة) :

نحن كالنحل لا نحب من الزهـ ... ـر سوى كل غضة مطلولة

وفى وصف محاسن الأرض والطبيعة :

وكأنما نسج الإله جنانها ... شرك النهى وحبالة الأهواء

وفى أشد القصائد حزناً كما فى قصيدة (بين الحياة والموت) وهى من شعر الحالات العارضة أقول فى وصف العيش :

ولكنه كالخمر تحلو لشارب ... وإن سُلبت منه النهى والسرائر

وفى النسيب اعتراف بقصيدة بجمال الحياة بالرغم من مرارة تجاربها:

وأنت جميلٌ كالحياة محبَّبٌ ... وإن كنت مثل العيش مر التجارب

وفى قصيدة (حكمة التجارب) قلت فى عزاء التجارب :

خذ بنصحى فقد حييت كثيراً ... ولو أنى لم أمض عمرا طويلا
عشتُ فى كل ساعة أبد الدهـ ... ـر وعالجت نَضْرَةً وذبولا
وربتنى الحياة بالحلو والمـ ... ـر فطوراً رغداً وطوراً وبيلا
ورفعت الستار عن خدعة العيـ ... ـش وقهقهت وانتحبت عويلا
وصحبت الحياة فى حالتيها ... وخَبَرْتُ القنوط والتأميلا

إلى أن قلت :

ورأينا الحياة من كل وجه ... وعشقنا كمالها المستحيلا
ورجعنا إلى الحقائق حتى ... لم نعد نطلب المحال بديلا

فهذا ليس من التشاؤم بل هو ما يناله المرء من حكمة الحياة وهو لم يمنع من وصف آمال الإنسانية كما فى القصائد التى ذكرت فى أول المقال . وقصيدة (الحسن مرآة الطبيعة) على ما بها من ذكر الموت فى آخرها جمعت مظاهر الحسن ومنها :

أنت مرآة ما يجىء به الكو ... ن من الحسن بكرةً وأصيلا
فأرى فى الصباح منك ضياء ... وأرى فى المساء منك ذبولا
وأرى منك فى الخريف شبيهاً ... ثمراً يانعاً وزهراً جميلا

وما أذكر الموت فى آخرها إلا أنه يدعو إلى محاسن الحياة والتزود منها . وقد وصفت أثر تفاعل الكون والنفس فى قصيدة (الشعر والطبيعة) ومنها :

إذا غنت الأطيار فى الأيك صُدَّحاً ... تغنت لأشجان الفؤاد طيور
والريح هبات وللنفس مثلها ... تُغَنِّى رُخاءً فيهما ودَبُور
نرى فى سماء النفس ما فى سمائنا ... ونبصر فيها البدر وهو منير
إذا كنتُ فى روض فقلبيَ طائرٌ ... يُغَنِّى على أفنانه ويطير
وإنْ كنتُ فوق البحر فالقلب موجة ... تَـوَثَّبُ فى أمواجه وتسير
وإنْ كنتُ فوق الشُّمِّ فالقلب نسرها ... وللنسر فى شم الجبال وكور

وفى قصيدة (الشاعر المحتضر) يتعلل بأنه قبل موته جمّل الحياة بفنه :

وجمَّلتُ الحياة بنظم شعر ... شبيه الضوء فى الأفق الأغرّ

وقد جعلنا مثل هذا القول علالة لأن بعض الأدباء من يتعلل به وإن كنا لسنا فى حاجة إلى مثل هذه العلالة ولا نأبى لضياع عمل عمر بأكله

وفى قصيدة (خواطر الحياة) أثناء التألم أستطيع أن أقول :

والسخط غُربال تجاهد قصد الـ ... ـسيل كأن الأتِىَّ مردود

أى أن حوادث الدهر لا تُدفع بالسخط والحزن كما أن السيل لا يُرَدّ بغربال

وفى قصيدة (كعبة النفس) جعلت الرجاء من الإيمان والعبادة :

أيا كعبة الآمال ذات المحارم ... مكانك من قلبى كمحراب صائم
فلا تأخذونى بالرجاء فإنما ... رجائىَ إيمانُ النفوس الحوائم

وفى قصيدة (بيت اليأس) جعلت الحزن ترياقاً يقى من الحزن كما أن القليل من السم قد يقى من السم:

كشارب السم كى يُصادِى ... تمرُّنٌ عَلَّهُ منه صريحاً

ووردت هذا المعنى فى قصيدة (عدوى الحياة) وذكرت أن مصل الجراثيم وقاية منها :

كما يتداوى بمَصْلٍ عليلٌ ... وفى المصلِ من بعض ما تَبَرُه(1)

وفى (عصير الحياة) جعلت لذتها وأنغام فنونها من آلام تجاربها:

أسى على ساعات عمرىَ واطئاً ... كالكرم يعصره الجناة فيختمر
وأحيلها نغماً يروق سماعه ... وأعيدها شعراً يلذ ويُسْكِرُ

(1) تبره : أهلكه

وقلت إن دجن السماء مثل حزن النفس قد يكون لذة وذلك في قصيدة (يوم مطير) فانظر كيف تستخرج النفس اللذة والأمل من الحزن والسحاب :

تقيل على القلب البهيج عبوسه ولكنه قد يسحر القلب كاربُهْ
كذلك بعض الحزن للنفس شائقا
تعاقره في نشوة وتقاربُهْ

وهل تفاؤل أعظم من تفاؤلى فى البيت الآتى من قصيدة (عجائب الحياة):

وأبنى صلاح الكون والناس مثلما
مضى فى بناء عامل وأجير

وقد جعلت حتى تملل المتملل بذكر الموت مظهراً من مظاهر حب الحياة:

وما عَللتْ نفس الفتى بمَنيَّةٍ
ستطوى هموم العيش على الدسا كر
سوى رغبة فى العيش يرهب صرفه
فيعدو على اليومى بذكرى النوابر

والتلذذ بوصف مظاهر الأمل وأحاسيسه فى قصيدة (السكون بعد النغم) يدل على التفاؤل ومنها فى وصف الاحساس بالسكون بعد النغم :

كسكوت اللهيب فوجىء بالبشـ ـرى ويخشى من حسنها أن تحيا
أو سكوت الشباب فى حُلُم الآ مال من قبل أن تنال المنيا
أو سكوت الأم الرءوم حنانا وابنها نائم وقته المطربا
حلمت حلمها بما سوف يمسى فى مساعيه جيئة وذهوبا
من ثمار الحياة تختار أحلا ها له نعمة وسعدا وطيبا

وقد جعلت الأمل بهجة العمران فى قصيدة (الأمل) :

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن فلا شيد البانى ولو كدَّ كادحُ

وهى قصيدة طويلة كلها فى مباهج الأمل ولذاته ومحاسنه ، وأحاسيسه وفى قصيدة (شهداء الإنسانية) جعلت النعمة فى الحياة مستخرجة من الشقاء

وكم من نعمة لولا شقاء قديماً لم تكن إلا وبالا
فكم خبر الأوائل من شقاء فنلنا من شقائهمُ نوالا

وقد ذكرنا فى هذه المقالات وغيرها أسماء قصائد عديدة جداً لا هى من شعر التشاؤم، ولا من المذهب الطبيعى الإنجليزى، والشعر العربى ليس فى حاجة إلى مذاهب أو مسميات جديدة. وإذا لم يكتف حضرة الناقد الفاضل بهذه القصائد والشواهد ذكرنا له غيرها ونعتقد أنه حسن النية فى قوله، فعسى أن تكون عقيدتنا فيه صواباً. ونكرر للأستاذ الدكتور أننا طلبنا نفساً عما قدمنا من عمل، ولا يهمنا أفنى أم بقى ، ولكن الذى يهمنا ألا يتخذ وسيلة للنيل منا حتى ولو كان ذلك عن حسن نية .

عبد الرحمن شكرى

من ذكريات الثورة

دعاية ...

للأستاذ عمر الدسوقي

في العراق شباب ملء يومه ملء غده ، يتقد حماساً لوطنه وعروبته ، ويدأب ليل نهار في الدعاية لنفسه وقوميته ؛ عرفته نمرقت الثورة اللاهبة المتأججة ، والنفوس الطامحة الثوثبة ، نفض عنه غبار القرون ، واستيقظ فالتفتت الدنيا ليقظته ، ثم زأر فارتاعت الأفلاك من زأرته ؛ أينما حلّ فهمة ونضال ، أو ضجة وجدال .

وفد على مصر منذ عشرة أعوام أول بعث من فتية العراق ، ليطفئوا صدى نفوسهم من كوثر العلم ، وينشروا بين أبناء الكنانة فكرة جليلة سامية ، تشبعت بها نفوسهم ، وامتزجت دماؤهم ، وتراءت لهم في الحلم عزة وقوة ، وفي اليقظة عظمة وفتوة ؛ ولكن راعهم أنا بنهضتهم جاهلون ، وعن دعوتهم معرضون

دعوا للوحدة العربية ، فألفوا قلوباً غلفاً وآذاناً صماء وعقولاً سيطرت عليها فكرة الفرعونية ، وبلبلتها السياسة المصرية ؛ فلم ينكصوا على أعقابهم ، أو يقنطوا من نجاحهم ، بل طفقوا يبددون دياجير هذا الجهل ، ويعرفون أبناء النيل ببلاد تعجب بهم ، وتعلم عنهم أكثر مما يعلمون عن أنفسهم ، ويرسلونها صيحة من فؤاد مؤمن بما يدعو إليه ، موقن بأن هناك من سيستجيب له : أن تعالوا إلى كلمة تجمع شملنا البدد ، وتعيد إلى الحياة مجدنا الغابر ، وتحلنا بين الأمم مكاناً علياً ، يبعث في قلوبهم الهيبة والرهبة ، ويغدو شجى في حلوق الطامعين ، وقذى في عيون المستعمرين ، ويحبط كيدهم ويبطل إفكهم ؛ فينشدون ودنا بدلاً من عدائنا ، وحلفنا عوضاً عن استعمارنا

لبى نداءهم من فطن إلى ما انطوت عليه جوانح المستبد الغاصب ورأى في تلك النزعات الإقليمية هوة سيتردى فيها أبناء العروبة وهم في غفلة ساهون ؛ فما البربرية ، والفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، إلا شباك نصبها الطامع الشره ليحول بيننا وبين الوحدة المنشودة التي يخشى أن تزلزل الأرض تحت قدميه ، وتضع السيف والنار أمام عينيه ، إن عاد إلى ما ألف من عبثه بهذه الديار وذويها

أو لم يمزق أوصال الشام ، وقد نمت عليها العصر وهي لا تعرف من دواعي الفرقة شيئاً ، وهي تلك الصخرة الشماء من العزة والإباء ، تنحسر عنها أواذي الكائدين كليلة خائبة ؟

عزّ عليه وقد خرج من معمعان الحرب نشوان بحميا الظفر أن يرى ديار العروبة تتحفز للوثوب ، وتهمّ للنهوض ، فعاجلها بضربة خالها قاضية ، وفرقها أباديد ، حتى لا تطمع في قوة أو تأمل في عزة ، وحتى لا تعيد على مسرح التاريخ تلك الأنفة والحمية والأيد والجلد والاستهتار بالموت ، في سبيل الكرامة والشرف والعقيدة ، أيامَ أن حشدت أوربا جموعها وشنتها حرباً شعواء على هذه الديار باسم الدين ، فأصبحت العراق في قبضته ، ومصر في حوزته ، والشام أشلاء ممزقة .. فما فلسطين وسوريا ، ولبنان ، وجبل العلويين ، وجبل الدروز ، والاسكندرونة ، إلا أعضاء جسد واحد كان من قبل رمزاً للجد والنشاط والشهامة ؛ وأخذت طرابلس الغرب تسير وئيداً في سبيل الفناء ، وأحال تونس والجزائر بلاداً لا هي شرقية ولا غربية ، فمسخت مسخاً ، وتبلبلت ألسنة بنيها برطانة لا هي فرنسية فتفهم ، ولا هي عربية فيفخروا بها ، وعمد إلى مراكش فكاد للاسلام والعروبة كيداً ، وحاول أن يهدم هذا الدين بعرف قد عفت عليه القرون لا يصلح لحضارة ولا يبعث رقياً

فطن من لبى نداء هؤلاء الفتية الأخيار إلى كل هذا ، وإلى أن ذاك التراث المجيد قد كان بالأمس منبعاً للنور والمجد والرحمة والإنسانية ، يفيض على الدنيا وقد جللتها سحب الجهل والظلم ، وإلى أن هذه البلاد على تباين أسمائها تلهج بلغة واحدة ، وتعتز بتاريخ واحد إشتركت فيه في البأساء والضراء ، وتشعر بشعور واحد ، وتنحدر من أصل واحد

وإذا لم تكن اللغة أداة التعبير ورمز التفكير ووسيلة تصوير الشعور والوجدان ، عاملاً من عوامل الوحدة وتأليف الأفئدة ، فماذا يكون ؟

وإذا لم يكن التاريخ والأدب والدم ، صلات وثيقة ، توحد بين الصفوف ، والأهداف والغايات ، فماذا يكون ؟ أسسوا جمعية صغيرة متواضعة تدعو إلى ذلك الغرض النبيل السامي ، وتعمل

في إخلاص على توثيق عرى المودة بين أبناء العروبة في مصر ، فانضوى تحت لوائها شباب طاهر بريء من نزعات الأحزاب القديمة وحزازاتها الشخصية

ولكن ما لبث أن سعى إليها الشيوخ يريدون أن يسخروها لأهوائهم؛ وطفق هؤلاء يستهوونها بالمال، وهؤلاء يمنونها بالتأييد، ومن بين ذلك تأتي من السخرية والتهكم ما يضعضع العزائم الناقبة ، ويثبط الهمم الصارمة

يا طالما كنت أعتذر لهؤلاء الرفاق عما يبديه بنو جلدتي من جفوة وإعراض ، وأقول : إنهم متى فرغوا من صراع العدو الناصب ، ونفضوا أيديهم من نزاله ، فسيمدون إليكم الأيدي طواعية ، وستنفتح قلوبهم لدعوتكم الرشيدة ، إن راموا عزاً ومجداً لهم ولبلادهم ؛ فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وثابروا على جهادكم ، فإن جلائل الأمور لا تتحجز بين طرفة عين وانتباهتها .

غادرت مصر ، ونزلت مدينة « إكستر » ، ووفد علينا جماعة من العراقيين يطلبون العلم بجامعتها فقلت : ها ... إن الميدان قد تحول من ضفاف النيل إلى ربوع انجلترا ، ولكن وا أسفاه ! قد استمرأ هؤلاء الفتية حياة اللهو والدعة ، فإذا دعوتهم إلى الجد وضعوا أصابعهم في آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً

ثم رحلت إلى لندن ، ووجدت فيها نخبة طيبة من أبناء العراق وفلسطين ، قد اتخذوا الجد قبلة يولون إليها وجوههم صباح مساء ، وحرصوا كل الحرص على أن يملأوا كنانتهم لا بسهام عطمة من المزعبلات والدنايا ، ولكن بالثقافة العالية والدراسة المجدية ؛ حتى يكونوا في ساحة الجهاد أولي قوة وبأس شديد، وحتى يحطموا عن شرقنا المسكين هذه الأغلال التي كبلته ، وعاقته عن النهوض والرقي زمناً طويلاً؛ وحتى ينازلوا الجهل بالحكمة، والأفن بالعقل، والميول النابية والأحقاد المزمنة والأغراض الحقيرة ، بالصرامة الحازمة والعقيدة الجازمة

أجمعوا أمرهم على تأليف جمعية عربية في لندن ، تبث تلك الدعوة الصالحة بين شباب العرب ، وتقرب بين آمالهم وأهدافهم فإذا ما تشربتها قلوبهم ، واطمأنت إليها ألبابهم، كانوا رسل الوحدة العربية في ديارهم ، وتعرف الإنجليز بنا ، وبحضارتنا ، ونهضتنا . ثم بدا لهم أن يكونوا كذلك لفلسطين جنوداً على ضفاف التاميز يحمونها من حرارة إيمانهم ، وثمارعقولهم ، ما شاء لهم جبهم الطاهر لبلادهم ، وقصدهم النبيل في إسعادها .

لليهود في انجلترا سطوة وقوة ، وتجارة واسعة عريضة نامية ، ودعاية سديدة منظمة ، ينفقون عليها الأموال الطائلة ؛ ولهم في دار النيابة خطباؤهم أمراء البيان ، يذودون عنهم بكل ما أوتوا من قوة وفصاحة[1] .

وأنى لنا ، ونحن شباب لا تظاهرنا حكومة ، أو يشجعنا ثري ، أو تشد أزرنا سفارة ، مباراتهم في الدعاية التي آمن بها الإنجليز عامتهم وخاصتهم لكثرة ترددها على أسماعهم ، اللهم إلا ذلك النفر القليل الذين ساحوا في البلاد العربية ، وفقهوا سر شكواها وكنه مصابها . ولقد وجدنا في هؤلاء نصيراً شد عضدنا ، وسدد خطانا، وبذل في سبيل قضيتنا الوقت والمال عن سماحة وطيب نفس

أخذنا ندبج المقالات الضافية ، تنطق بالحقائق الناصعة ، وندعيها تارة بالخطابة ، وأخرى بالكتابة ؛ على الرغم من إيصاد الصحف أبوابها دوننا . وقد مهد لنا السبيل لمناقشة فريق من أعضاء المجلس النيابي ، فكان منهم من يرى رأينا ويشد أزرنا ؛ ومنهم من يشيح بعطفيه ويزور جانباً

لم نقصر دعوتنا على طبقة دون أخرى من الناس ، بل جلنا جولات صادقات في كل مجتمع وندى ، وهتفنا باسم فلسطين العربية ما أتيحت لنا الفرصة

جاءت وفود العرب تترى لحضور حفلات التتويج ، يقدمهم أمراء العرب الأمجاد ، فقلنا : لن يجتمع في هذه البقاع من أبناء العروبة جمع مثل هذا يحميه ويؤيده ويزينه سلائل الملوك الصيد من أبناء عدنان وقحطان ... !

فلنصرخ صرخة مدوية تخترق شغاف هذه الأفئدة التي أغواها الصهيونيون، ولكن زأرة الأسد ريح حاء، لحنها الشمم، وسداها الإباء ، لا عويل الذليل العاني يسترحم القلوب بالنحيب والبكاء . . .

(١) يقرب عدد اليهود في إنجلترا من نصف مليون ، ولهم في البرلمان عضو مصريين تاثبا ، ولهم نفوذ قوي على الصحف البريطانية ماعدا « الديسلي » ويهيمنون على أكبر الشركات هناك كشركة « شل » ، وشركة الفنادق وغيرها ، ويحتلون أعظم المناصب في الجامعات ، ويحتكرون دور السينما والملاهي .

رغب صحبي في أن يقيموا حفلاً نجتمع فيه بأمرائنا الأخيار، فنؤدي واجب التكريم والتبجيل، ونعلن لهم عزم الشباب على الفناء في سبيل العروبة واتحاد القوى؛ ورأوا أن ما بأيديهم من المال قليل، فغضوا الطرف عن دعوة ذوي الرأي والجاه في إنجلترا، وكنت أرى أن نمد الدعوة إلى رجال الصحافة وكبار القوم، حتى يروا رأي العين جمعنا الباهر، واتحادنا المتين، وحتى تصل كلماتنا إلى قلوبهم لعلها تلين. وهبت زوبعة من الجدال والنقاش كادت تعوقنا عن بلوغ هذا الشرف الرفيع، لولا أن شد أزري صديق كريم[1] وتعهدت وإياه أن نقوم بسداد ما يزيد من النفقات إذا لم تهز الأريحية أفئدة أمرائنا الغر الميامين ذوي السماحة والندى، فيهبوا للحمية من نفحاتهم ما يعز مقامها، ويعلي منارتها..

وكان حفلاً لم تشهد لندن نظيره من قبل روعة وبهاء وعظمة ورواء بل كان حفلاً فريداً قل أن يجود التاريخ بمثله. وكيف لا... وقد شرفه أمراء العرب، وتلاقوا فيه لأول مرة جميعاً ملبين نداء الشباب، ومشافقين من فلسطين الشهيدة.

كُبِتَ به من خال أن اتفاق العرب محال، لشدة تنافرهم وتحاسدهم، وتباين أهوائهم ومطامعهم، بيد أن عزمات الشباب تذلل الصعاب وتحقق الرغاب

وقرعت دعوتنا أسماع من طالما صدفوا عنها، وفتحت الصحف لنا أبوابها بعد أن أطنبت في وصف ذلك المشهد الفخم وهذه المظاهرة العربية الجليلة الوقورة

وقد حقق أمراؤنا الأبطال آمالنا، فما إن سمعوا نداءنا حتى جاشت في قلوبهم حُميَّا النخوة والكرامة، ففاهوا بكلمات تفصح عن نفوس عامرة، وأفئدة ملؤها النبل والإباء، وقالوا: إن بلاد فلسطين ومحنتها تقض منا المضاجع، وتحز القلوب حزناً، وإن خروجها من المحنة سليمة مستقلة ظافرة لأمل نضعه نصب أعيننا وصلاة نرتلها صباح مساء، فثقوا بنا وبجهادنا والله يرعانا ويرعاها

وغمرت عطاياهم جمعيتنا الفتية، فأصبحت في الجهاد أثبت قدماً، وأشد بأساً، وأعلى صوتاً، حتى ضاق بها الصهيونيون ذرعاً، فما قام منهم خطيب ينفث في الناس سمومه وتخرصاته، إلا وجدنا أمامه نبطل كيده وندحض باطله

وعدت ذات مساء إلى داري، فرأيت ربة الدار محزونة مكتئبة. فسألتها: ما بالها؟ فقالت:

— جاء اليوم فتيان من أبناء صهيون، ينم حديثهما عن خبث طوية ولؤم حاد، وطلبا إلي أن أسدي لك النصيحة بالحسنى عن لسانيهما، وأناشدك الله وأهلك وغربتك إلا أقلعت وصحبك عن مناوأة جهادهم، وإن أبيت إلا اللجاج والعناد، فلهما معك يوم له ما بعده

ثم قالت: إني أخشى عليك هؤلاء القوم؛ إذ لا تؤمن لهم غائلة، ولا يتعففون عن دنيئة؛ وما كان لي أن أزج بنفسي في خاصة أمورك لولا أنك نزيل داري؛ وأنا لهؤلاء الصهيونيين مبغضة وعليهم حانقة

فقلت: شكراً لك ـ سيدتي ـ هذا العطف الجم، والشعور الكريم، ولا عليك من هؤلاء فلن يضيرني منهم شيء، وسترى.

عمر الدسوقي

(١) هو الأستاذ طارق العسكري نجل المرحوم جعفر باشا العسكري، وأشهد أنه من خيرة شباب العراق وأشدهم وطنية وإخلاصاً

تأملات وتفكرات

شارلى شابلن العبقرى
فى الخمسين من عمره !

[مهداة إلى السيدة ا . ش]

للأستاذ زكى طليمات

سرعان ما تجرى الأيام وتمر السنون !

يرتقى شارلى شابلن علم الأعلام فى دنيا السينما أول درجات العقد السادس بعد أن سلخ من عمره خمسين عاماً

بلغ شارلى هذه السن ونال كل ما تتوق إليه النفس من الجاه ونباهة الذكر وقلائد الذهب وأكاليل الغار ، إلا أنه بقى محروماً من دفء الحنان وراحة العيش فى ظل امرأة صالحة ، لأن الحظ السعيد الذى واتاه فى كل شىء أبى أن يواتيه فى النساء

والنساء فى حياة الفنان المرهف الحس القوى الطبع ، عنصر لا غنى عنه فى استكمال السعادة المنشودة

ومع هذا فإن شارلى قد تزوج ثلاث مرات إلا أن كل زواج منها كان ينتهى دائماً بالخيبة !

تدخل المرأة فى حياة شارلى فينطوى عليها وتغدو نصفه الثانى ويتفانى فيها كما تتفانى فيه وقتاً من الزمن ، وينفخ العبقرى الفنان فى النصف الجديد أنفاساً من روحه الخلاق فتغدو شيئاً وينبه لها ذكر ، ويعلو لها شأن ، وتسود الألفة بينهما بما يستجلب عليهما حسد الحاسدين ثم . . .

ثم يأخذ النفور بعد ذلك يدب بينهما فتخمد الجذوة المتقدة فى قلب الزوجة المعجبة بزوجها ، وتتنهب الزوج آلام الخيبة والجحود ، وينتهى الأمر بينهما بالطلاق !

عجيب هذا الأمر ، وأعجب منه وقوعه مع رجل دمث موفور الحظ من اللباقة والظرف ، عرك الحياة ، وعرف طباع الناس !

اختلفت الآراء فى تفسير هذه الظاهرة ، وانبرى الكتاب يفسرونها حسب أهوائهم ، ولم يتورع بعضهم عن اتهام العبقرى المثل بشذوذ فى الطبع وبحرق فى الرأى وإن لم ينكروا عليه لطف المعاشرة ولين الجانب وبسط اليد

ألا إن المتأمل فى حياة شارلى ، الفاحص عن أمر طبعه ومنزعه بما يطالعه له من آثار وحيه على الشاشة البيضاء ، يرى غير ذلك إذا توخى الإنصاف والدقة ، وتعمق فى استكناه ما وراء وعى هذا العبقرى المثل

إن شارلى عبقرى فنان . والفنان الحق خلاق ، والخلاق من طبعه البذل والتضحية والإسراف فى الجهاد

تعود شارلى أن يصدر عن كل هذا فى عمله ، مؤلفاً كان أو ممثلاً أو زوجاً

ومن كان هذا شأنه فإنه يتطلب الكثير من الناس ، ولا يقنع بالغذاء العادى الذى تقدمه المرأة من عطفها وحنانها . هذا والفنان الصادق أثر يحب نفسه وهو لا يشعر ، فهو يميل إلى الاستئثار بكل ما يعمر قلب المرأة التى يهبها قلبه ، وينزع إلى سوء الظن بما يلقاه من تقصير أو فتور غير متعمد ، ويعده جحوداً ونكران جميل . . .

وهكذا كان شارلى شابلن يتطلب من زوجاته أن يعطينه مثل ما يعطيهن .

هذه هى العلة ، وهذه هى غلطة شارلى شابلن مع النساء . أو بالأحرى هى غلطة كل فنان خلاق كبير القلب دافق الروح ، شاعراً كان أو ممثلاً ، أو مصوراً ، بل لعلها هى غلطة كل كريم نفس يسرف فى بذل حبه وكريم عواطفه لإحدى بنات حواء .

ونخرج من هذه المأساة العاطفية بشىء واحد ، وهو أنه واجب على الرجل ألا يؤمل كثيراً فيما عسى أن تمنحه المرأة إياه وأن يقنع منها بظرف المعاملة ، وبسماتها الوردية ، وبلمسات شعرها المعطر ، وومضات جسدها الشاب المضىء . إن لم يفعل ذلك

— وواجب عليه أن يفعل — فإنه لا يجنى من حياته العاطفية سوى أشواك الجحود والخيبة .

أما ذو القلب الكبير والروح الخلاق ، الصادى الذى لا تروى غلته جرعات من الماء نفير له ألا يبحث عن السعادة فى ظل امرأة .

لم يكن غريباً بعد هذا أن نلمح فى ابتسامات شارلى أفواه الجروح ، وأن نسمع فى صدى ضحكاته أنات العويل . إن المسكين يضحك خشية أن يسترسل فى بكاء .

ولا عزاء للمسكين فى محنته هذه ، وفى عزلته . لقد تجاوز السن التى تجعله مرموق الحسان . إن ابن الخمسين لا يصلح إلا أن يكون ملجأ لمنكودات الحظ فى الحب أو فى الزواج أو طالبات العيش المادىّ فى كنف الرجل كان ما كانت سنه ، أو العوانس اللواتى يكابرن الدهر والدهر يتطاول عليهن ، أو النوانى من قانصات المال والجاه العريض ، وهذا الصنف من الخادعات إذا قابلن رجلاً فى منحدر العمر ، همسن فى أذنه أنهن لا يحببن الشباب لنزقه وتيهه ، ولكنهن يعشقن الشيوخ لرجاحة عقولهم وفيض حنانهم

وشارلى العبقرى الفنان ، ابن الخمسين ، لا يجهل ذلك . ولهذا فقد قدر عليه أن يعيش محاطاً بكل لذائذ الحياة ، من مال وجاه وفخار إلا لذة المجروع إلى صدر امرأة يخفق قلبها بحب خالص له . قدر عليه أن يكابد مرارة الحرمان الدائم ، وقسوة الوحدة ، وحمى الظمأ الذى لا يرويه ماء

وهذا كله فدية الروح الخلاق والطموح الذى لا يتطامن ، وهذا أيضاً فدية المجد الذى علقه شاباً ورجلاً وكهلاً .

زكى طليمات

العالم يتطلع الى مدروزنا المصرية

أربعـــون يوما في الصـــحراء الغربيـــة

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٣ —

تحدث المحرر في المقالين السابقين عن بعض مشاهداته في الصحراء الغربية فوصف سحر الصحراء ، وأتى في كلمات وجيزة على ذكر كثير من عادات العرب وصفاتهم ، وتحدث عن سكانها ودون عنها معلومات عامة طريفة . وهو في هذا المقال يحدث إلى القراء عن ساحل الصحراء الغربية وهطول الأمطار وموارد المياه على الساحل وسكة حديد المديرية وسكان الساحل وقبائل الصحراء الغربية حديثا شائقا طريفا

ساحل الصحراء الغربية

يمتد القسم الساحلي من الصحراء الغربية — وليس له اسم معين معروف — من الشمال الغربي للدلتا من الإسكندرية شرقاً إلى السلوم غرباً ؛ ويبلغ طوله نحو ٥٠٠ كيلو متر

وقد أطلق عليه القرطاجنيون اسم « ساحل ليبيا » وورد ذكره في كتابات هيرودوت عند وصف رحلات الفينيقيين والقرطاجنيين إذ وصف سكان هذا القسم بما لا يخرج عن حالتهم في الوقت الحاضر وطرق معيشتهم بعد الفتح الإسلامي . قال : إنهم يرتدون ملابس اللوبيين ، وتضع النساء خلاخيل في أرجلهن ويرسلن شعورهن تنمو وتطول ؛ ومن عاداتهم أن للزواج وقتاً معيناً ، وهو عندهم عيد عظيم ، إذ تحضر القبائل — عند افتتاح موسمه — أجمل الفتيات الراغبات في الزواج فيقفن أمام ملكهم ليختار لنفسه منهن زوجة جديدة قبل أي مخلوق آخر

ولكن هذا الشعب قد انقرض الآن واندمج في القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي ، وأصبح سكان هـذا الإقليم من العرب قبائل أولاد علي

والقسم الساحلي هو شريط رقيق من الأرض المتموجة الصالحة للزراعة . ويتراوح عرضه من الساحل جنوباً بين ٢٠ و ٥٠ كيلو متر ، ويتسع من جهة الشرق — العامرية — ثم يأخذ في الضيق عند ما يتجه غرباً ، وينتهي تقريباً عند السلوم حيث تقترب هضبة ليبيا الكبرى من الشاطئ وتدخل في مياه البحر



منظر لجانب من ساحل الصحراء الغربية بالقرب من المزاتانه الرومانية

أما أسماء التلال ورؤوس الخلجان فلها تاريخ أثري قديم ، ولا زال العربان يعثرون على آثار ذات قيمة وخاصة من العصر الروماني . ونذكر من أسماء هـذه التلال بعضها وهي : رأس الكنائس (وكانت تعرف برأس حرموم) ؛ ومرسى مطروح وكانت تعرف برائتوم ؛ وميناء النجيلة وكانت تعرف بجازيس ، وميناء جرجوب وكانت تعرف بأبيس ، والسلوم وكانت تعرف بارانوس ، ورأس الملح في طرابلس وكانت تعرف بأردينس ، وميناء البردى وكانت تعرف بيترابحنا

هطول الأمطار

تعد مسألة هطول الأمطار في هذا الإقليم من المسائل العجيبة حقاً ؛ فبينا يهطل المطر بغزارة في مكان ما ، إذ تراه ينحبس عن مكان آخر قريب من الأول جداً ؛ غير أنه يهطل بحالة دائمة في مناطق معلومة مبعثرة على الشاطئ يعرفها العرب أنفسهم ؛ ويستمر من ثلاثة أشهر إلى أربعة في السنة ؛ تبدأ من أكتوبر أو نوفمبر وتنتهي في شهر إبريل ؛ وفي بعض الأحيان يهطل المطر مرة واحدة وذلك في شهر مايو ، ويسميه العرب « مطر البطيخ »

ويعد نزول الأمطار في الواحات كواحة سيوه مثلاً من الأمور النادرة ؛ وإذا استمر سقوطها قليلاً سبب هدم منازل الواحة المصنوعة من « الجالوص » وقد حدث ذلك في سنة ١٩١٩ م ؛ وكذلك في شهر إبريل سنة ١٩٣٧ م ؛ واستمر هطول الأمطار

يومين كاملين ؛ فأوقع ضرراً بالمنازل وهدمها ، وبقي السكان هناك مدة بلا مأوى

موارد المياه على الساحل

تنتشر في المنطقة الساحلية خزانات المياه الرومانية ، وهي محفورة في الصخر بنظام هندسي عجيب يمنع تسرب المياه منها ، وتبقى فيها لمدة سنين ، وكان الرومان يستعملونها قديماً ولا يزال العربان يستعملونها إلى الآن ؛ وبعض هذه الخزانات كبير الحجم يتسع في بعض الأحيان لآلاف من الأطنان تكفي لأعوام طويلة كالخزانات الموجودة في العامرية ومطروح والسلوم ؛ وتهتم الحكومة بتنظيف هذه الخزانات وإصلاحها وطلائها بالأسمنت ؛ وتوجد المياه كذلك في بعض آبار « جمامات » على الشاطئ ويسميها العرب « بالثوانى » وهي أكثر ما توجد في المناطق الرملية

وتوجد الدواوير والزوايا بكثرة حول المناطق الغنية بالمياه وخاصة ما كان منها قريباً إلى الشاطئ . ويزرع السكان حولها الزيتون والتين والعنب وبعض أصناف الخضر

سكة مريوط الحديدية

هي إحدى منشئات الخديو السابق ، وكانت تمتد قديماً إلى بلدة قوكه على بعد ١٣٠ كيلو من الإسكندرية . ثم نزعت قضبانها في أثناء الحرب العظمى سنة ١٩١٦ لأغراض حربية وانتهت عند بلدة الضبعة على بعد ١٠٢ ميل من الإسكندرية

أما الآن فقد تم مدها إلى مرسى مطروح أي إلى مسافة ٣١٣ كيلو متراً من الإسكندرية ولهذه السكة تاريخ غريب : فقد كان الخديو السابق يزمع مدها إلى السلوم على حدود مصر — طرابلس ، أي نحو ٥١٤ كيلو متراً من الإسكندرية . وكان غرضه من ذلك أن تقرب السفر إلى أوربا يومين ، وكان يرمي إلى مد فرع آخر منها من مرسى مطروح إلى سيوة أي مسافة ٣٠٠ كيلو متراً أخرى وذلك لنقل محصول البلح والفواكه واستغلال أملاكه الكثيرة التي يملكها في هذه الواحة . ويتضح لمن يمعن النظر في هذا المشروع أنه لا يأتي بالفائدة المرجوة منه ولا يسد تكاليفه الباهظة . ولقد أدى ذلك إلى تدخل المعتمد البريطاني في أمره وشرائه باسم الحكومة المصرية تفادياً من استخدامه لأغراض حربية

سكان الساحل

يقطن المنطقة الساحلية قبائل من العربان الرحل تعرف بقبائل أولاد علي . وكلهم من البدو الذين يعيشون عيشة غير مستقرة فيزرعون الشعير والحنطة على الأمطار ويشتغلون في وقت الجفاف بنقل حاصلات بلح الواحات إلى الساحل ويعودون بالحبوب والسكر والشاي وسائر الحاجيات إلى الواحات ثانية



نساء العرب أولاد علي

والبدوي بطبيعته يفضل السير في الدروب المطروقة الظاهرة للوصول إلى مقصده ، وهو لا يفكر في اختراق أرض مجهولة . ولكن إذا اتفق أن أمطرت السماء وغمرت بعض الأراضي ونبتت فيها المرعى فسرعان ما يتجه إليها البدو من كل الجهات لترعى مواشيهم ؛ ورعاية الماشية تتطلب السير في مختلف أراضي المنطقة ، وبهذه الوسيلة يسير البدوي فيها فيتعرف على دقائقها جيداً . وللعربي خاصة حفظ الأشياء والمناظر الطبيعية والعلامات الأرضية فهي تنطبع في ذهنه لأول وهلة . على أن هذه الخاصية لا تتوفر لجميع البدو ، بل هي تتوافر عند قليلين منهم يعرفون بالأدلاء . وللدليل البدوي مهارة عجيبة مدهشة في تعرف الطرق وسهولة ارتيادها وتمييز الجبال والتلال والقدرة على السير ليلاً في أشد الليالي حلكة وظلاماً

قبائل الصحراء الغربية

يسكن صحراء ليبيا من النيل إلى جالو والكفرة فريقان من البدو : السعادى والمرابطون، وهم جميعاً من نسل «سعدى». وهم ثلاثة فروع :

سعدى . وقد أعقبت جبريل ورغوث وعقار . ومن ذرية جبريل : العواقير والعربيات والمغاربة والجوازى . ومن ذرية رغوث : عبيد والعرفه والفوايد . ومن ذرية عقار : على والجرارى والمنادى وبنى عونة والجيبات ، ومن ذرية على : أولاد على الأبيض وعلى الأحمر والسنة . وأولاد على الأبيض هم : أولاد والسنافره والعزايم والأفراد . وأولاد على الأحمر : القنيشات والعشيبات والكيلات . والسنه هم : البرّوة ، والقطيفة ، والحافيظ ، والصحنة

ويسكن أولاد على الصحراء الغربية .

أما «المرابطون» فهم أقدم من السعادى ولكنهم متفرقون وكل قبيلة منهم فى حمى قبيلة من السعادى ، ولعل ذلك يرجع إلى أن السعادى جاءوا البلاد فاتحين ؛ ويعرف المرابطون أحياناً بالصدقان أو الأصدقاء . وأهم قبائلهم : زوى ، والجمارة ، والمنفة ، والموالك ، والشواعر ، والجرارة ، والقطعان ، والحوتة والجبابل ، والتراكى ، والشهيبات والنواخر ، وترهونه ، والعوامة والصواتقة إلخ …

وهؤلاء موزعون فى الصحراء وفى حمى السعادى . وكل قبيلة منهم مسؤولة عن الدفاع عمن تحميهم من المرابطين .

ويقدر عربان هذه الصحراء بنحو ٥٥ ألفا . وهم جميعاً معروفون بشدة الولاء والإخلاص لجلالة الملك وآل بيته الكريم لما لا قوه من عطف محمد على باشا الكبير رأس الأسرة العلوية ، وما منحه إياهم من امتيازات لا يزالون يذكرونها ، ويفخرون بها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل . ؟

عبد الله حبيب

ملحوظة : أكثر ما ورد فى هذا المقال والذى قبله من البيانات المفيدة مأخوذ مما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهرى مأمور مرسى مطروح من الصحراء الغربية .

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين رواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



أما عن ذهاب الجيش على تلك الصورة إلى عابدين فالمسئول عنه الخديو ووزراؤه ، فلقد كانوا يعلمون ما في معسكرات الجيش من تذمر وهياج ثم كانوا يعلمون مع ذلك مبلغ مقدرتهم على المقاومة فبدل أن يطفئوا النار زادوها بأساليبهم اشتعالاً ، هذا فضلاً عن ذلك الموقف المزدوج الذي وقفه الخديو تجاه الضباط وتجاه الوزارة

ولقد كان القصر أمام الجيش خلواً من أية قوة . فروعيت حرمته أحسن مراعاة ؛ وروعي كذلك مقام الخديو ، فلم يخرج أمامه ذلك الجندي الثائر عن طوره ، بل تمالك نفسه فترجل وأدى التحية لمولاه . ثم ذهب فأعرب له عن ولائه ، وشكره حينما أجيب إلى ما طلب باسم الأمة ... ألا إنا لنعجب بذلك ونفخر به إذ نكتبه ، وما نجد من الأدلة التي نسوقها على رجولة عرابي وشهامته وبعده عما يرميه به خصومه أقوى من هذا الذي نشير إليه

فإذا أضفت إلى ذلك ما كان يدور في خبث من الدسائس في ذلك الموقف الرهيب ، وذكرت كيف أحبطها عرابي بعزيج من البسالة والصبر يدعو إلى الإعجاب ، ازددت لا ريب إكباراً لموقفه في ذلك اليوم . ولقد كانت أية كلمة نابية أو أية إشارة يساء فهمها كفيلة بأن تسيل الدماء في تلك الساحة . قال عرابي : « لو حاول الخديو قتلي لأطلقت النار عليه »[1] .

ولن يفوتنا أن نذكر أن عرابياً قبل ذلك كله قد اتصل بقناصل الدولة ، وأفهمهم قبل أن يتحرك نحو عابدين أنه يقصد بعمله هذا مظاهرة سلمية ، وأكد لهم بالغ حرصه على الأمن . كما أنه كتب إلى الخديو قبل أن يذهب . فكان بذلك كله حكيماً موفقاً لا يدع مسلكه غميزة ، أو يهيء سبباً للملامة ...

نجحت حركة عرابي إذاً أتم نجاح وأجله وتهيأت البلاد لأن تستقبل عهداً يسود فيه الإصلاح والنظام ؛ فلقد كان قبول الخديو مطالب عرابي التي أشرنا إليها ينطوي على معنى عظيم ألا وهو موافقة حاكم البلاد على التخلص من الحكم الاستبدادي الرجعي ، والعودة إلى حكم الحرية الدستورية الذي سبق أن وافق عليه يوم تبوأ عرشه ثم عاد فتنكر له حين اطمأن في مصر إلى كرسيه

ولقد عارض شريف باشا أول الأمر في قبول الوزارة ، وكانت حجته في ذلك أنه بقبوله الحكم دون قيد ولا شرط إنما يضع نفسه تحت سلطة الحزب العسكري ، الأمر الذي لا يستطيع أن يحمل نفسه على قبوله ؛ ولذلك دارت بينه وبين رجال هذا الحزب مفاوضات استمرت بضعة أيام تحرجت الأمور فيها حتى أوشك أن يتنحى شريف عن قبول الوزارة نهائياً

ولكن لاحت بوارق الأمل عقب ذلك ، وكم كان جميلاً أن تلوح من جانب ذاك الذي لا يزال نفر من المصريين حتى وقتنا هذا يرمونه بالفوضى ويعودون بأسباب ما لحق مصر من ويلات إليه ، فيقيمون الدليل بذلك على أنفسهم أنهم إما ذووا أغراض أو أولو جهل معيب بحقائق الأمور

كان جميلاً أن يبرق الأمل من جانب عرابي ؛ فلقد دعا يومئذ أعضاء مجلس شورى النواب المعطل وعرض القضية عليهم وكان على رأسهم سلطان باشا ذلك الذي كان يعتبر في تلك الأيام من أكبر زعماء الحركة الوطنية

(١) تاريخ عرابي الذي كتب بخطه لمستر بلنت سنة ١٩٠٣

وذهب إلى شريف وفد من هؤلاء يرجون منه قبول الحكم ، فعرفوا منه أنه يشترط ألا يتدخل الجند فى شىء ، ويريد أن يرحل عرابى وعبد العال بفرقتيهما إلى مكانين يختاران لها ، وأن يترك قبل ذلك حراً فى اختيار وزرائه لأن عرابى كان يطلب إليه إعادة البارودى وإدخال مصطفى باشافهمى فى الوزارة ، وكان شريف يرفض ذلك لأنهما لم يثبتا على عهدهما فدخلا وزارة رياض عقب إقالة وزارته

وتعهد هؤلاء الزعماء برياسة سلطان أنهم يضمنون لشريف خضوع الحزب العسكرى ، وكان بين هؤلاء من ذوى المنزلة فى البلاد سليمان أباظة والشريعى والمنشاوى والمويلحى والشمسى والوكيل ، وهم أهل جاه وسلطان يعرف شريف قيمة انضمامهم إليه

وذهب عرابى بنفسه إلى شريف ، قال عرابى : «وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى وقلت إنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض فقلت له : إن لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك فيها بعون الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير ... فاغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جواباً ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدراوى عاشور (وكيل زراعته) وقال إن الباشا قبل ما عرضته عليه »

وألف شريف وزارته الثالثة وكانت هذه أولى ثمار الثورة ، وقد قبل الوزيرين اللذين أشار بهما عرابى ، كما قبل ما رجا منه قبوله رجال العسكرية وهو النظر فى القوانين الخاصة بالجيش وذلك فى نظير أن يخضعوا لحكمه ويبتعدوا عن كل تدخل

وراحت مصر تستقبل فى تاريخها فترة من أسعد الفترات فلقد نالت أمانيها دون أن تراق نقطة دم ، وخرجت سالمة آمنة من ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب أهم الثورات التى قصد بها الحرية فى تاريخ الإنسانية ؛ ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب ثورة سنة ١٦٨٨ فى انجلترة وإلى جانب الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية الكبرى ؛ ولولا ما كتبه المغرضون المبطلون من الأجانب عنها ، وما ضربه الاحتلال على الآذان والقلوب فحال بين المصريين وبين تاريخ قوميتهم الحقيق لكان لتاريخ هذه الثورة شأن غير هذا الشأن فى هذا البلد المسكين

ولقد كان المستر بلنت فى مصر يومئذ فوصف تلك الأيام السعيدة بقوله[1] : «إن ثلاثة الشهور التى أعقبت هذا الحادث لهى من الوجهة السياسية أسعد الأيام التى شهدتها مصر ، ولقد أسعدنى الحظ بمشاهدة ما جرى فيها بعينى رأسى فلم أتلق معلوماتى عنها بطريق السماع ولو كان ذلك لشككت فى حقيقتها . إنى لم أر فى حياتى ما يشبه هذه الحوادث وأخشى ألا أرى مثلها فى المستقبل إن كل الأحزاب الوطنية وكل أهالى القاهرة قد اتفقت كلهم هنيهة من الزمن على تحقيق هذه الغاية الوطنية الكبرى ، لا فرق فى ذلك كما يظهر بين الخديو والأمة ، وسرت فى مصر رنة فرح لم يسمع بمثلها على ضفاف النيل منذ قرون فكان الناس فى شوارع القاهرة حتى الغرباء منهم يستوقف بعضهم البعض يتعانقون وهم جذلون مستبشرون بعهد الحرية العظيم الذى طلع عليهم على حين غفلة طلوع الفجر إثر ليلة عصيبة حالكة الظلام »

تقدم الزعماء والعلماء إلى شريف بالعرائض يطلبون إعادة تشكيل مجلس شورى النواب ؛ وما كان شريف فى حاجة إلى مثل هذا الطلب إذ كان فى مقدمة ما ينتويه تقرير مبدأ الشورى وتثبيت قواعد الدستور وليست هذه أولى محاولاته فى هذا السبيل

ودعا وزير الحربية عرابياً ، فأفهمه رغبة الحكومة أن يسافر بفرقته إلى رأس الوادى ، وأن يسافر عبدالعال إلى دمياط . فقبل عرابى ذلك ، ولكنه اشترط أن يصدر أمر الخديو بانتخاب النواب قبل السفر ، ولا ريب أن هذا الشرط من جانب عرابى خروج منه على ما أخذه على نفسه من عدم التدخل فى شؤون الحكومة ؛ وهى نقطة لا يسعنا إلا أن نحسبها عليه . بل ونلومه عليها مهما كان ما ينطوى عليه طلبه من خير للبلاد ، ومهما كان فى هذا الطلب من معانى حرصه على الدستور والحياة النيابية ، وبخاصة إذا كان على رأس الحكومة رجل مثل شريف .

أما عن امتثاله لأمر الحكومة بقبول السفر ، فهو أمر فى ذاته — على الرغم مما أحيط به من اشتراط — يعد من محامد عرابى . إذ يدل على مرونة وكياسة ورغبة فى التفاهم شتان بينها وبين ما يعزوه إليه خصومه وجاهلوه من الحماقة والنزق والعنف فى كل ما يطوف بهم من سيرته . كما أنه يقدم بطاعته هذه دليلاً آخر على حسن طويته ونبالة غرضه فيما سعى إليه .

وفى اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٨٨١ رفع شريف إلى الخديو مذكرة يلتمس فيها موافقته على دعوة مجلس شورى النواب ، ولم يكن للخديو بد من إجابة رئيس وزرائه إلى ما طلب وما كان أغنى توفيقاً عن أن يعطل هذا المجلس لو أنه كان يحسن

(١) المسألة المصرية لروتستين : تعريب البادى وعمران ، والعبارة المذكورة بقلم الأستاذين المعربين

النظر فى عواقب الأمور . إن البلاد اليوم لتحس أنها تصل إلى بغيتها نيلا لا سؤالاً ، ولسوف يكون لهذا الإحساس أثره فيما هى مقبلة عليه من الحوادث .

وخرج عرابى فى اليوم الثامن من ذلك الشهر يقصد السفر بفرقته إلى رأس الوادى ، وكان قد سبقه إلى السفر إلى دمياط عبد العال . وسار عرابى بطريق الحسينية حتى وصل إلى مسجد الحسين رضى الله عنه . « فوقف الآلاى مقابلاً للمسجد تعظيماً وإجلالاً لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام » ؛ ودخل عرابى المقام الحسينى مع الضباط : « وأمر بيرق الآلاى على الضريح الشريف » . ثم سار بعد ذلك نحو المحطة . فما كاد يتوسط المدينة حتى ألفى الشوارع مكتظة بالناس ، وإنهم ليهتفون باسمه فى حماسة ويحيونه تحية الزعيم المنقذ ، ويلقون فى طريقه الزهر والرياحين

وفى المحطة وجد عرابى جميع ضباط الجيش المصرى وجمهوراً من الأعيان وذوى الحيثية وعدداً هائلاً من عامة الناس فاحتفوا بقدمه ، وكانت توزع الحلوى وتنثر الزهور فى فناء المحطة ؛ وكان يتسابق الخطباء والشعراء فى تمجيد ذلك الذى جرى اسمه على كل لسان فى مصر؛ ووقف عرابى فى هذا الجمع خطيباً فقال: « سادتى وإخوانى : بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا غرس الاستبداد ، ولا نثنى من عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها ، وما قصدنا بشمينا إفساداً ولا تدميراً ، ولكن لما رأينا أننا بتنا فى إذلال واستعباد ولا يتمتع فى بلادنا إلا الغرباء حركتنا الغيرة الوطنية والحمية العربية إلى حفظ البلاد وتحريرها والمطالبة بحقوق الأمة ، وقد ساعدتنا العناية الإلهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديو ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية ، وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شؤونها وتعرف حقوقها كباقى الأمم المتمدنة فى العالم ، ومن قرأ التواريخ يعلم أن الدول الأوروبية ما تحصلت على الحرية إلا بالتهور وإراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ، ونحن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نخيف قلباً أو نضيع حقاً أو نخدش شرفاً ، وما أوصلنا إلى هذه الدرجة القصوى إلا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد » . وهتف عرابى بحياة الخديو واهب الحرية ، وحياة الجيش ، وحياة الحرية ؛ ثم امتدح الوزارة ورئيسها ووصف البارودى بقوله: « رئيسنا الوطنى الحر القائم بخدمة الوطن وأهله » . وحذر إخوانه فى الجهادية من الوشاة والحساد ، وحثهم على الاتحاد قائلاً : « البلاد محتاجة إلينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات وإلا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه » . ولنا فى هذه الفقرة الأخيرة فى خطبته عودة كما أن لنا عودة إلى فقرة غيرها نكتفى الآن بالإشارة إليها وهى قوله : « وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من إخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة ويجانب حدوث ما يكدر صفو الراحة »

واستقبل عرابى بحفاوة كبيرة فى المحطات التى وقف بها القطار كما حدث فى الزقازيق حيث كان على رأس مستقبليه فيها أمين بك الشمسى ووقف عرابى يخطب الناس هناك فكان مما قاله « أما القوة فنحن رجالها ، ولا نثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس ، وأما الفكر فهو منوط بأميرنا الأعظم ووزرائه الكرام . وأما العمل فهو منوط بكم فإن القوة والفكر يبطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة ، وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها ، والحقوق محفوظة لذويها »

وقال عرابى فى خطبة أخرى بالزقازيق « وأنتم الآن مهيأون للانتخاب فلا تميلكم الأهواء والأغراض لانتخاب ذوى الغايات بل عولوا على الأذكياء والنبهاء الذين يعرفون حقوقكم ويرفعون المظالم عنكم » ولم ينس فى هذه الخطبة من امتداح الخديو ووزرائه وهتف فى ختامها قائلاً « يعيش الجناب الخديو »

وفى الزقازيق دعى لوضع أساس المدرسة الأميرية فذهب ووضع الحجر الأساسى باسم الخديو قال « وتلوت على الحاضرين خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى ، وحرضتهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم فى المستقبل »

ثم سافر عرابى إلى رأس الوادى بعد أن أولمت له عدة ولائم فى دور بعض وجوه مديرية الشرقية مسقط رأسه ، وليس يخفى ما ينطوى عليه من معان تكريم هذا الفلاح الذى نشأ فى بيت متواضع ، على أيدى هؤلاء السادة والكبراء ؛ ففى ذلك أول مظاهر الديموقراطية الوليدة فى هذا الوادى الذى خضع قبل ذلك زماناً طويلاً لمظاهر السيادة والأرستقراطية

« يتبع » الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤١٢ — والله لا أدرى أنا

أمين الدين الجوبانى الصوفى :

مت فى عشق ومعشوق أنا   فؤادى من فراق فى عنا
غبتُ عنى فتى أجمعى ؟   أنا من وجدىَ منى فى فَنا !
أيهـا السـامع تدرى ما الذى   قلتُه ؟ والله لا أدرى أنا ...

٤١٣ — أرانى وإياكم طرائق قددا

فى (ثمار القلوب) : قال ابن عائشة : كان للحسن بن قيس ابن حصين — ابن شيبى : وابنة حَرورية [1] وامرأة معتزلة ، وأخت مرجئة [2] ، وهو سنى جَماعى [3] فقال لهم ذات يوم : أرانى وإياكم طرائق قِدَدا [4]

٤١٤ — أول من قال (واى ويه ، واى ويه)

فى (الأغانى) : لمـا قال ابن مناذر [5] (فى رثاء عبد المجيد الثقفى [6]) :

ولئن كنت لم أُستمن جوى الحزن (م) عليه لأبلغن مجهودى
لأقيمن مأتما كنجوم الليل (م) زهراً يلطمن حر الخـدود
موجعات يبكين للكبد الحرى (م) عليه وللفؤاد العميــد [7]

(١) حرورية : خارجية ، فى اللسان : حروراء موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج لأنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليا وهو من نادر معدول النسب إنما قياسه حروراوى

(٢) المرجئة تقول : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وتؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار (الشهرستانى)

(٣) نسبة إلى الجماعة : جماعة أهل السنة

(٤) متفرقة مختلفة . فى الكشاف : القدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق

(٥) فى الكامل : لمحمد بن مناذر فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه ، وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته

(٦) اخشط عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى لعشرين سنة ، وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم (الكامل) مات عبطة إذا مات شابا صحيحا (الأساس)

(٧) من قصيدة جيدة روى (الكامل) جلها و (الأغانى) أبياتا منها

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرنّ قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : (واى ويه ! واى ويه !) فيقال : إنها أول من فعل ذلك ، وقاله فى الإسلام

٤١٥ — الجد

قال أبو حيان التوحيدى : قال أبو غسان البصرى — وقد ذكر جاهلاً مجدوداً — إن الجدّ ينسخ حال الأخرق [1] ويستر عيب الأحمق ، ويذبّ عن عرض المتلطخ ، ويقرب الصواب بمنطقه ، والصحة برأيه ، والنجاح بسعيه . والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ، ويستعمل آراءهم وأفكارهم فى مطالبه ، ولو عرفت خبط العاقل وتعسفه وسوء تأتيه [2] وانقطاعه إذا فارقه الجد ، لعرفت أن الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه

قال أبو حيان : فقلت له فما الجد ؟ وما هذا المعنى الذى علقت عليه هذه الأحكام كلها ؟

فقال : ليس لى عنه عبارة معينة ، ولكن لى به علم شاف استفدته بالاختبار والتجربة والسماع الربيض من الصغير والكبير ، ولهذا سُمع من امرأة من الأعراب ترقص ابناً لها وتقول : رزقك الله جداً يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوى الجدود

٤١٦ — البياض لباس حزن

قال بعضهم فى لباس أهل الأندلس البياض فى الحزن مع أن أهل المشرق يلبسون فيه السواد :

ألا يا أهل أندلس فطنتم   بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضاً   فجئتم منه فى زىّ عجيب
صدقتم فالبياض لباس حزن   ولا حزن أشد من المشيب [3]

٤١٧ — الفضيلة الجامعة والرذيلة المفرقة

فى (الكلم الروحانية) : قال أفلاطون : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة ، والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة : ألا ترى

(١) الخرق : الحمق والجهل

(٢) تأتى لحاجته إذا ترفق لها وأتاها من وجهها ، وتأتيت لهذا الأمر تأتياً (اللسان ، الأساس)

(٣) ولابن شاطر السرقسطى :

قد كنت لا أدرى لأية علة   صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة   بيضاء من شيب لفقد شبابى
فهنا تبين لى إصابة من رأى   لبس البياض على نوى الأحباب

أن الصادق يحب الصادق ، ويستنيم إليـه[1] ، وكذلك الثقة مع الثقة ، والحسن الخلق مع الحسن الخلق ، وترى الكاذب يبغض الكاذب ، والسارق يخاف السارق ، وكل واحد منهما حذرٌ من مجاورة صاحبه .

٤١٨ — دعوة مظلوم !

في (تاريخ بغداد) لابن الخطيب : قال جعفر لأبيه ابن خالد ابن برمك — وهم في القيود والحبس — : يا أبت ، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ؟! فقال له أبوه : يا بُنيّ ، دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها. ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غدوا في نعمة ... زمنا والعيش ريّانُ غدق[2]
سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

٤١٩ — الإرشاد في خرق الأدب المعتاد

في (فتوحات محمد بن عربي[3]) : بتنا ليـلة عند أبي الحسن بن أبي عمر ابن الطفيل بأشبيلية سنة (٥٩٢) وكان كثيراً ما يحتشمني[1] ويلتزم الأدب بحضوري ، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر ابن وسام وأبو الحكم بن السراج وكلهم قد سمهم احترام جانبي الانبساط ، ولزموا الأدب والسكون فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم . فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا ، فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم فقلت : عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه (الإرشاد، في خرق الأدب المعتاد) فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله . فقال لي : أشتهي ذلك . فمددت رجلي في حجره ، وقلت له : كبّسني ! ففهم عني ما قصدت ، وفهمت الجماعة فانبسطوا ، وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة ، وبتنا ليلة في مباسطة دينية

(١) من المجاز : استنام إليه : سكن سكون النائم (الأساس)

(٢) عيش غدق : مخصب واسع . قال الزجاج : الغدق (بالفتح) المصدر والغدِق (بالكسر) اسم الفاعل . وقرئ بهما : لأسقيناهم ماء غدقا . والغدق الكثير (اللسان ، الكشاف)

في (تاريخ الطبري) : قال الأصمعي : سمعت يحيى بن خالد يقول : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة

(٣) في (القاموس المحيط) : ابن العربي أبو بكر المالكي وابن عربي محمد بن عبد الله الحاتمي الطائي . وفي (نفح الطيب) : كان بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي

(١) احتشم منه وعنه ولا يقال احتشمه وأما قول القائل . لم يحتشم ذلك فإنه حذف من وأوصل الفعل (اللسان ، التاج) وفي الحشمة والاحتشام أقوال كثيرة للغويين ، والحشمة الغضب والاحتشام الغضب أيضا

«النيل» نعسان ...

قطعة من ليالي الملاح التائه

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذهبت له ... والأنجم البيض حوم
على خمره كالطير تحسو وترشف
لها رعشة مسحورة في جنانه — وهمس حديث في الحنايا مرفرف
صبته الرؤى فانساب نعسان مثلما
على راحة المحبوب هوم مدنف ...
وتمتم كالجبار ميتته الكرى
وفي فمه ذكرى البطولات تهتف!
عتي يهاب الدهر حرمة ساحه
ويفزع إعصار الزمان المطوف
فكيف تغشاه الكرى؟! وسجا به
وسجاه في الأحلام سر مغلف؟!
خشوع وتسبيح وطهر ... كأنه
بكف الليالي أو بكفي مصحف!
وصحت على الشطآن أسمع خلفه — صدى الأبد المخنوق للروح يعزف
وألمح أشباح الفراعين فوقه
رهائن تتلو اللوح والنيل «أسقف»
ودنيا أغان في الضفاف نشدتها — فعدت وأوتاري من اليأس تهتف
فيا «نيل» كاشفني السريرة واسقني
من الغيب سلواني إذا كنت تعرف
أتيتك مذبوح الخيال معذبا — وكأسي من سم البليات تنزف
وفي صدري المهدود جرح وخنجر
ونار على خديه بالروح تعصف
وذكرى على شطيك حن لعهدها — وجن عليها عاشق متلهف
فهل فيك للمحزون دمعة راحم
تراق على ذكرى الحبيب وتذرف؟!...

«وزارة المعارف» — محمود حسن إسماعيل

سوانح طائفة!

للأستاذ أحمد فتحي

قضيت بالشعر من دنياي أوطاري — طوبى لدنياي أو طوبى لأشعاري
هذا البيان، وعندي تبر معدنه — أدى إلى المجد سيارا، بسيار
يا للروائع، كم تجلو عوارفها — ليل الحوادث عن صبح وأنوار
وددت أدرك من شعري وحكمته — ماغاب عن فطنتي في غيب أستار
قلبت فيه وجوه الرأي أجمعها
وطال في البحث تجوالي وتسياري
ثم انثنيت إلى نفسي أسائلها — هل يكون البيان الهيكل العاري
وما انتفاع أخي الأشعار عالية — بصاغة الحمد، من حشد وسمار
وليس كالمائق السمين، وإن خلقت
ديباجتاه، ولا كالكاتب القاري!
ألست بالصائغ الشعر الذي هتفت — به المواكب في ساح ومضمار
ماذا أفدت بأشعاري وروعتها — سوى علالة تخليد لآثاري؟!
وما الخلود بمبرور لمارية ... — غير الخسيس من ترب وأحجار
ماذا أصاب امرؤ القيس الذي عرفوا
من عبقريته مأثور أخبار؟!
غنت بآياته الأجيال واستبقت — تزجي له الحمد في موروث أسفار
ولات حين مناه ليس يسعمه — إلا الذي ساقه من جود مكار!
فيم الثناء على الموتى، أتمنحهم — در المدائح، قنطارا، بقنطار؟
وهل يرد عليهم طيب عيشهمو — طيب الثناء، إذا وافى بمقدار؟
ياضيعة الشعر، إن لم تمتلئ يده — بدرهم، يكفل الدنيا، ودينار

* * *

يا هاتف الوحي أقصر زدتنا شجنا
وهجت برح الجوى، من برح تذكار
ما حيلة الشعر في قوم إذا حشدوا — في أهله كل طبال وزمار؟!
حتى البيان استباحوه، وكان له — محض التجلة في قدس وإكبار
تفرق أبذلته في الأرض وانبعثوا — يستأثرون بنايات وأوطار
إني لأبصره هيمان مطرحا .. — يشكو الجناية من إيذاء أغرار
مروعا تتراءى الكارثات به .. — وتبتليه بزلزال وإعصار!

بضاعةٌ تهبطُ الأسواقَ كاسدةً … لا بائعٌ رابحٌ فيها، ولا شارِ
وكان بالأمس أغلى ما يعزُّ به … مجدُ القبائلِ، في بيدٍ وأمصار
يُعلي ويُدني، كما شاءت رغائبُه … رفعاً وخفضاً، لأقدارٍ وأقدار
يَبني ويهدم دنيا الخلق من عجبٍ … كأنه قدرةٌ في كفِّ جبّار!
ويرزقُ الناسَ دنيا من فواضلِه … فيحاء، تُزهي بجنّات وأنهار
إذا تبسّمَ فالأكوان باسمةٌ … كأنها الروضُ في إشراقِ آذار
وإن تجهّمَ فالأيامُ عابسةٌ … نكراء تزري بأكدارٍ وأوضار
فما لدولته دالت، ومال بها … إلى الحضيض ملام الشانئ الزاري
كأن قوى وأوفى أفضل الجحود على … أصحابه، فأتاهوا بإنكار!
والشعرُ أولى بإعلاء وتكرمة … لكن جزينا على فضلٍ بأصفار!
أم هذه شرعةُ الأيامِ من سفهٍ … تختالُ ما بين إقبالٍ وإدبار
وقد تمرّدت عن بوءٍ بأمس، وفي … غدي القريب رجاءٌ غير منهار!

* * *

بني العروبةِ هذا صوتُ شاعرِكم … كأنه نغمٌ من عزفِ أوتار
تلمّسوا المثلَ الأعلى لديه، وكم … يستلهم الحقُّ من آياتِ أشعار
ولا تضيقوا به إن ترْمِ غادٍ بكم … بموجعٍ من شديدِ القولِ هدّار
قد يبلغُ الشعبُ بالآداب ساميةً … ما ليس يبلغه بالسيف والنار
دعوكمو من قديم المجدِ، وابتدِئوا … ذاتَ الفخار، بتاريخ وآثار!
المجدُ يحظى به الساعي إليه وفي … جنبيه قلبٌ جليدٌ غير خوّار!

(القاهرة) … أحمد فتحي

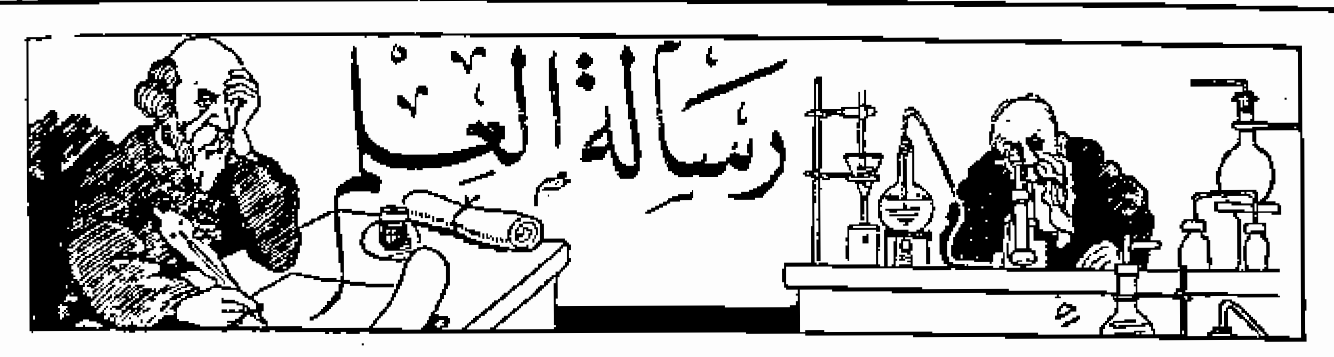
أمنيـــة

[لما ابتسم الربيع ابتسمت]

للآنسة جميلة العلايلى

يا خالق الحسن هبني الحسن أجمعه … على من الحسن أروي روح ظمآن
قد شفني الحسن ممنوعاً فأرقني … صوت ملحٌ وراء الأفق نوراني
روح تهادت وشاق الروح فتنتها … إلى عوالم لم تخطر بحسبان
هبني الكمال وهبني صورة وضحت … في الخلد ما بين أضواء وألحان
قلبي من الشوق أوصال ممزقة … يرجو لقاء فؤاد حالم حان
روحاً أذوب روحي في مناعمها … كأنها لم تكن روحاً لإنسان

جميلة العلايلى



غرفة ولسون

اتجاهات حديثة في العلم التجريبي — هذه أنابيب النيون عيون خير من عيوننا — كيف كشف أندرسون البوزيترون — غرفة ولسون هي أقصى ما بلغه العلم التجريبي من المقدرة والدقة

للدكتور محمد محمود غالي

دعوت ذات مرة العالم الكبير جييه A. Guillet أستاذ السوربون لمشاهدة بعض تجارب كنت أقوم بها خاصة بدراسة ميوعة السوائل، فلبي دعوتي وشرفني بحضوره من السوربون إلى معهد باستير، وظل ردحاً من الوقت يروح جيئة وذهاباً أمام الحوض الزجاجي الذي أعددته لإجراء هذه التجارب.

مضت أيام صعدت بعدها سلم السوربون واستأذنت في زيارة الأستاذ، وعند ما دخلت معمله وجدته يقوم ببعض التجارب العلمية الخاصة بالميوعة أيضاً، ولا أدري إن كانت زيارته السالفة هي التي جعلته يهتم بهذه الناحية التجريبية من البحث العلمي، التي أعلم أنها عند الأستاذ أقل شأناً من غيرها، ولا سيما في وقت كنت أعلم درجة إهتمامه بالخطوات التجريبية الخاصة بالمرناة[1] (التليفزيون).

أما موضوع دراسة الميوعة الذي شغل الأستاذ جييه فهو خاص بالطيران، ذلك أنهم يؤملون أن تتمكن الطائرات يوماً ما أن تطير في الطبقات العليا من الجو التي يسمونها « ستراتوسفير » وتزيد ارتفاعها عن ١٤ كيلو متراً، وقد دلت التجارب على أن الطائرة في هذه الحالة تخترق طبقات من الجو تزيد درجة الحرارة فيها عن ٥٠ درجة، وطبقات أخرى تنقص فيها درجة الحرارة عن الستين، وهو ما حدث للعالم بيكار، عند ما صعد في كرته التي صنعها من الألومنيوم.

ويتحتم مع هذا الاختلاف في درجة الحرارة دراسة خواص الزيوت المستعملة في الطائرات: أي دراسة ميوعتها مع درجة الحرارة، والعوامل الطبيعية الأخرى، وإلا صعب استعمال هذه الزيوت في محركات الطائرات.

وجدت الأستاذ أمام بندول بسيط من الخشب من صنعه أو صنع عامل في معمله، وهذا البندول يوصل تياراً كهربائياً ويقطعه في كل مرة يهتز فيها، ورأيت أمام العالم أنبوبة صغيرة من أنابيب النيون التي شاع استعمالها الآن في الإعلانات ليلاً في الشوارع، وكرة نحاسية معلقة بسلك يحمل في أحد أطرافه مؤشراً يدور دوران السلك فتدور معه الكرة في السائل المراد اختباره، وكلما أكمل البندول هزة اتصل أحد أطرافه بحوض من الزئبق، فيمر التيار الكهربائي وتتوهج الأنبوبة التي لا تلبث أن تنطفئ بمبارحة البندول للزئبق، وهكذا كلما كان السائل مائعاً تأخرت الكرة قليلاً في دورانها عن السلك الحامل لها أي عن المؤشر، وهذا المؤشر لا يظهر للعين إلا في الفترات القصيرة التي تتوهج فيها أنبوبة النيون[1]

التفت إلى الأستاذ وقال مشيراً إلى أنبوبة النيون: « هذه

(١) المرناة هو لفظ وضعه الأستاذ على الجارم بك تعريبا لكلمة « تليفزيون » وهي من الفعل رنا أي نظر.

(١) هذه الطريقة الستروبوسكوبية لدراسة ميوعة السوائل تنسب للأستاذ جييه وهي منشورة في محاضر المجمع العلمي الفرنسي المجلد ٢٠٠ بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٥ ص ١٠٢٢

عيون أحسن بكثير من عيوننا » ، وهو بهذا التعبير الصادق يلخص لنا الاتجاهات الحديثة في العلم التجريبي ، الذي بات لا يعتمد على حواسنا كما كان الحال في زمن قريب بقدر ما يعتمد على الوسائط الطبيعية .

والواقع أن العين وهي أعظم ما نملك من حواس هي جهاز متوسط لا يُعَدُّ شيئاً مذكوراً بجانب الوسائط العلمية الأخرى التي تفوقها حساسية وتَعْظُمها دقة ، ولو أن الإنسان أعتمد في كل ما يرجوه من تقدم في أعماله التجريبية على حواسه ، لما تقدم العلم للحد الذي هو فيه اليوم ، ولما اختلف كثيراً العهد الذي نعيش فيه عن أقدم العهود

إنما ذكرت تجارب جيبه واستعماله غاز النيون والظاهرة المعروفة باسم «الستروبوسكوبي Stroboscop'e»[1] لأبين للقارئ الاتجاهات الحديثة في العلم التجريبي ، فلا تُرْجِعَنَّ المسائل للمحسوسات وحدها ، وإلا عدنا لعصر الإغريق عندما كان الفلك لا يزيد على بضع مئات من النجوم ، أو عصر العرب عندما كنا نقضي عشرة أيام لكي نسافر من القاهرة للأسكندرية ، حيث كنا مجبرين أن نتبع فوق ظهور الإبل حركتها الدورية أكثر من مائة ألف مرة ، وهي الحركات الناشئة عن خطوات الجمل الذي يحملنا بتثاقل لقطع مثل هذه المسافة البعيدة جداً في العهد المنصرم والتي أصبحت على طرف الثمام في العهد الذي نعيش فيه .

* * *

وهكذا في معظم التجارب الطبيعية اليوم لا تأتي العين إلا في المرحلة الأخيرة منها. ولعل أحسن ما أقدمه من مثال للقارئ هو أن أشرح له « غرفة ولسون » ، وهو جهاز يرسم لنا مسارات الأشعة الكونية ، وهي الأشعة التي قدمنا أنها آتية من عوالم بعيدة لا نعرف مصدرها ، وتخترق طبقات الجو وما يقابلها من مادة ، والتي قدمنا أنها مكونة من الكترونات وبوزيترونات سريعة ، وهي أصغر ما نعرفه من الجسيمات المكونة للذرة

هذه الغرفة يتضاءل مجهود العين بجانب ما يدور فيها من حوادث جسام ، لا تدركها العين إلا بعد أن تصبح لهذه الحوادث آثار تدل عليها ، وهو نوع من التحايل التجريبي ، وُفِّق إليه العلماء كل التوفيق

ويتكون الجهاز من وعاء بداخله مكبس يُغَيِّر ضغط ما بداخله من غاز أو بخار ، فعند مرور جسيم من جسيمات الأشعة الكونية يحدث عدد من الأيونات في هذا الغاز وتساعد حركة المكبس في نفس الوقت على تكاثف قطرات الماء الرفيعة على الأيونات الحادثة وذلك من تخفيف الضغط دفعة واحدة — وهذا التكاثف الذي يحدث عند مسار الجسيمات الكونية يمكننا من رسمها على اللوح الفوتوغرافي فنرسم بهذا في الواقع مسارات الجسيمات الكونية وتسمى هذه الطريقة بطريقة ولسون أو طريقة الضباب لولسون، ولا يفوتنا أن نذكر أن سكوبلزين Skobelzin في سنة ١٩٢٩ كان أول من قام برسم مسارات لجسيمات تفوق طاقتها طاقة جسيمات المواد الراديومية ، فكان أول من استعمل طريقة الضباب المتقدمة في أبحاث خاصة بالأشعة الكونية ، وطريقة ولسون[1] هذه تسمح بمعرفة الطبيعة والطاقة التي عليها جسيمات الأشعة الكونية من درجة انحناء مساراتها واتجاه هذه المسارات ودرجة التأين الحادثة من هذه الجسيمات ، وذلك بتعريض الغرفة لمجال مغناطيسي قوي

* * *

وكم كان عظيماً للعلم ورائعاً للعرفان أن تتقدم الأبحاث الخاصة بغرفة ولسون للحد الذي سمحت فيه للعالم الكبير أندرسون Anderson بكشف الذرة الموجبة للكهرباء التي نسميها بوزيتون Positon وقد منحه المجمع السويدي من أجل هذا الكشف جائزة نوبل للطبيعة

---

(١) يطبقون اليوم هذه الظاهرة في نواحي عملية عديدة فيدرسون بواسطتها مثلا الأثر الذي يحدث في النظم المختلفة للآلات وهي في حالة الحركة فنستطيع أن نرى قاطرة ثابتة أمام أعيننا لا تتحرك في وقت نديرها بسرعة تزيد عن مائة كيلومتر في الساعة ، وتوجد محطة تجارب لقاطرات السكك الحديدية من هذا النوع في « أيفري » من ضواحي باريز ، حيث ترى رأي العين القطع المتحركة في القاطرة ثابتة في وقت تتم حركتها فيه الآلاف

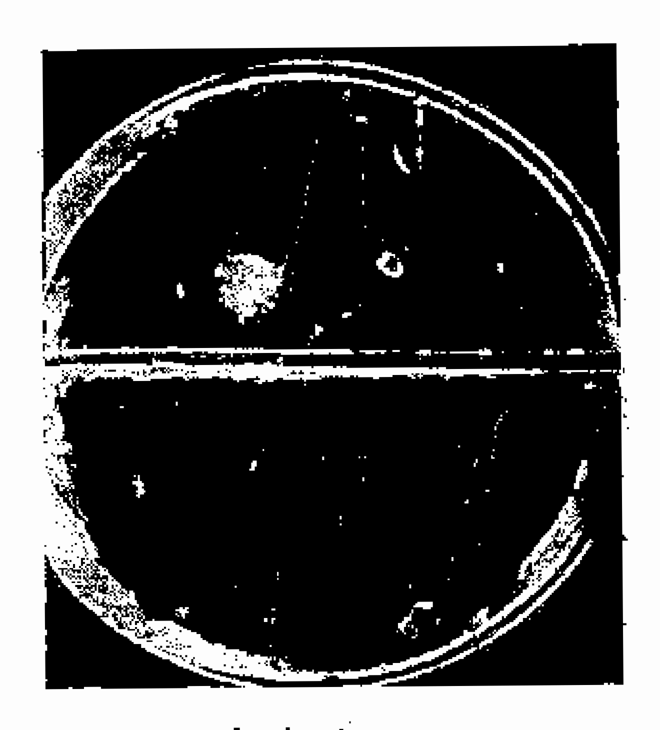
(١) نسبة إلى س . ت . و ولسون C. T. R. Wilson العالم الانجليزي المعروف وهو أول من استعمل طريقة تكاثف البخار عند تمدد الغاز الفجائي في أبحاثه الطبيعية المعروفة

لقد استعان أندرسون فى بادئ الأمر فى تجاربه التى قام بها فى باسادينا ، وكيتز Kunze فى تجاربه التى قام بها فى روستوك ، بمجال مغناطيسى قوى يبلغ ١٨ ألف جوس ، فوجدا أن مسارات جميع الجسيمات المكونة للأشعة تنحنى فى مثل هذا المجال القوى ، وبفرض أن كتلة هذه الجسيمات هى كتلة الألكترون فإن طاقتها تقع بين 10^{8} ، 10^{9} ألكترون فولت ، بل تبلغ طاقة بعضها 10^{10} الألكترون فولت ، وقد وجدا بادئ الأمر أنه بينما ينحنى نصف هذه الجسيمات فى اتجاه معين داخل غرفة ولسون ، ينحنى النصف الثانى فى الاتجاه الآخر ، مما يدل على أن شحنة نصف عدد هذه الجسيمات سالبة وشحنة النصف الآخر موجبة

على أن استمرار البحوث فى دراسة المسارات المنحنية فى اتجاه الجسيمات الموجبة الذى قام به أندرسون أدى إلى كشف غريب بعد من أهم اكتشافات العلوم الطبيعية الحديثة ، ففى إحدى الفوتوغرافيات العديدة التى قام بها أندرسون ظهر بوضوح مسار لجسيم اخترق لوحة معدنية موضوعة داخل الغرفة ففقد هذا الجسيم باختراقه اللوحة جزءاً من طاقته لدرجة وضح فيها اتجاه الجسيم الذى دل باتجاهه على أن شحنته موجبة . ولقد كان مساره طويلاً للحد الذى لا يمكن اعتباره مع طول هذا المسار « بروتوناً » (نواة الهيدروجين) وكتلة هذا الأخير ، أى البروتون ، تساوى ١٨٥٠ مرة قدر كتلة الألكترون ، عندئذ اقترح أندرسون إمكان وجود جسيم موجب الشحنة قائم بذاته يختلف عن البروتون ، وهذا الجسيم الذى كشفه تقرب كتلته للألكترون عن البروتون وقد سمى فيما بعد « بوزيترون »

ولقد ثبت رأى أندرسون هذا بتجارب أخرى عديدة قام بها بلاكت Blackett وأوشياليني Occhialini اللذان توصلا لتحسين طريقة غرفة ولسون كما توصلا لإثبات ما حسر أندرسون عنه الستار .

وينحصر عمل بلاكت وزميله أوشياليني فى أن تمكنا من أن يجعلا الجسيمات الكونية هى التى تقوم بنفسها بعمل الفوتوغرافيات لها فى الوقت الذى تمر فيه ، وذلك بأن تمر أولاً هذه الجسيمات فى عدادين من العدادات التى سبق أن شرحناها ، فينتج عن التأين الحادث فى هذه العدادات زيادة فى فرق الضغط الكهربائى وبالتالى حركة ميكانيكية ، هى التى تقوم بتحريك المكبس فى غرفة ولسون ، بحيث أن الغرفة لا تعمل إلا عند مرور جسيم كونى



(شكل ١) حزمة تظهر فى الجزء الأعلى لأنبوبة ولسون وحزمة أخرى تظهر فى لوح الرصاص (المجال المغناطيسى ١٧ ألف جوس)

عندئذ بات من المؤكد ألا تحصل هذه الفوتوغرافيات إلا عند مرور الجسيمات الكونية . ومما يجدر بالذكر أنه قبل استعمال هذه الطريقة كان يلزم أن يقوم الباحث بعمل مئات الفوتوغرافيات ليحصل على واحدة أو اثنتين من الصور التى يرى عليها مسارات هذه الجسيمات الكونية ، لأنه عندما يقوم الباحث بتحريك المكبس والجهاز الفوتوغرافى لا يعلم إذا كان يمر فى نفس الوقت جسيم من الأشعة الكونية ، أما الآن فإنه فى كل مائة صورة ترى حوالى ٧٥ صورة مرسوماً عليها مسارات هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر .

ويتلخص الموقف اليوم أنهم توصلوا لعمل أجهزة تسمى عدادات الألكترونات وتوصيلها بعضها ببعض ، بحيث لا تتأثر إلا بمرور جسيم كونى يخترق العدادات معاً ، وأنه يتأثر هذه

الدادات يتحرك الكبس الموجود فى جهاز آخر ، يسمى جهاز ولسون ، كما يتحرك الجهاز الفوتوغرافى ، بحيث أن أصغر مكونات الكون وهو الألكترون عند مروره أو مرور شقيقه البوزيتون يسبب كل منهما حركة كل هذه الأجهزة ، فتسمعه أولاً ثم ترى مساره ثانياً ، بل ترى أثر ما أحدثه من تهدم وتفتت فى ذوات المادة التى اخترقها



(شكل ٢) زوجا الكترون وبوزيترون يظهران لجأة فى غرفة ولسون من أبحاث شادويك (Chadwick) وبلاكت (Blackett) وأوشياليني (Occhialini) منشورة فى محاضر الجمعية الملكية الانجليزية المجلد ١٤٤ ص ٢٣٥ (١٩٣٤) ، (Nature) جزء ١٣١ ص ٤٧٨ (١٩٣٣)

وفى الشكل (١) ترى غرفة ولسون وترى حزمة من الجسيمات تظهر فى الجزء الأعلى من هذه الغرفة كما ترى حزمة من الجسيمات المطرودة من لوحة الرصاص الموضوعة داخل الغرفة. وفى الشكل (٢) يرى القارىء زوجين الكترون ، وشقيقه البوزيتون ، الجسيم المكتشف حديثاً ، يظهران فجأة فى غرفة ولسون ، وتعد غرفة ولسون ، وما يدور فيها من حوادث جسام أعظم ما توصل إليه العلماء فى البحث التجريبى .

وإلى اليوم الذى قد يتاح فيه القيام بتجارب أعظم أثراً من التجربة السابقة ، عند ما يتاح للعلماء أن ينتفعوا مثلاً بالطاقة والنشاط الموجودين فى المادة فى مرافق حياتنا المختلفة ، عند ما لا نعتمد فيما نحتاج إليه من طاقة إلى ما هو معروف من الفحم ، والوقود والكهرباء ، عند ما يصبح مصدر ما نحتاج إليه القليل من المادة والتافه من الأشياء ؛ فإن التجربة الخاصة بغرفة ولسون ستظل حتى هذا الوقت من أعظم وأدق التجارب العلمية التى تحققت فى وقتنا الحاضر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة


تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
حضر شايا ثقيلا واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسبما يلائم ذوقك
الشاى الجيد دار الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات في الفن

طابعنا المصري في فننا

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

منذ أحس المصريون حاجتهم إلى إيجاد كيان ذاتي خاص بهم يميزهم من غيرهم ، وأهلُ الفن منهم يجهدون أنفسهم سعياً وراء فن قوي يكون له طابعه المصري الخاص الذي إذا اتضح وتجلى ثبت للعالم كله أن مصر لها ذوق فني قائم بذاته ، وأنها بذلك الفن أمة جديرة بالاعتناء حقيقة بأن تمضي بين الشعوب الحية في هذا الزمان ؛ فإنه لا شيء يميز أمة من أمة إلا الفن، لأنه النتاج النفسي المعبر عن إحساسهم والذي لا يحسه غيرهم، ولا يمكن أن يحسه غيرهم إلا إذا عاش معهم في ثنايا مجتمعهم وعلى أرضهم وتحت كل المؤثرات المادية والمعنوية التي تؤثر فيهم . وهذا شيء يستلزمه الفن وحده ؛ وهو في هذا يختلف عن العلم الذي تستطيع كل العقول البشرية أن تسام فيه وأن تتشابه . فأنت إذا ذكرت لأي إنسان الرقم « ٥ » لم يعد أن يطوف بذهنه أن الخمسة مجموعة من الاثنين والثلاثة ، أو من الواحد والأربعة ، ولكنه لا يمكن أن يخطر على بال أحد من غير المصريين أن الرقم « ٥ » له معنى آخر وهو مقاومته للحسد ، ذلك أن هذا التحول بمعنى الرقم الأصلي إلى هذا المعنى العرفي الجديد شيء اصطلح عليه المصريون وحدهم وقد هيأتهم له عوامل ودوافع لم تتخلق في غير البيئة المصرية ، وهذا التحول الجديد اسمه عند أصحاب البلاغة كناية أو مجاز أو أي اسم آخر من هذه الأسماء التي تشير إلى أن الكلمة قد خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى جديد . . .

ولا شيء يصنع هذا الصنيع بالكلمات إلا الفن

هـذا والمصري يتعلم الحساب كما يتعلمه الفرنسي ولكنه لا يعرف للرقم (٥) المعنى الذي نعرفه . إن الفرنسي يدرس الهندسة النظرية كما يدرسها الياباني ، ولكنه حين يطبقها وحين يخرج بها من العلم النظري إلى الفن المنفوث فيه من ذوقه وروحه كانت عمارته التي يجمع عليه بالهندسة لإنشائها مختلفة اختلافاً تاماً في مظهرها وتكوينها عن عمارة الياباني التي ينفث فيها هو أيضاً من ذوقه وروحه ما رتبته اليابان في نفسه بمناخها ، وطبيعة أرضها وعادات أهلها ، ودينهم وأخلاقهم أيضاً .

فإذا اتفقنا على أن الفن وحده هو الذي يميز الشعوب بعضها من بعض — وهذا أمر أظن أنه قد أصبح ميسوراً أن نتفق عليه — رأينا أهل الفن المصريين الذين أحسوا وجوب ابتداع فن مصري حديث محقين منصفين وطنهم المسكين الذي طال شوقه إلى العزة الذاتية التي لم يعد لنا سبيل إلى تحقيقها إلا عن طريق الفن ما دمنا قد أدركنا أن الصناعات والعلوم إذا تشابهت في الأمم لم يكن هذا مما يمس كيانها الذاتي ، وما دمنا مؤمنين بأننا متخلفون في هذه الآفاق جيباً عن غيرنا فلن نلحقهم فيها إلا بعد جهد .

نحن إذن لا نملك إلا أن نعجب بكل فنان مصري يعمل لإنشاء الفن المصري أو ينادي بإنشائه لأن في عمله هذا سعياً إلى تثبيت عزتنا القومية .

ونريد الآن أن نعرف الطريق الذي يؤدي بنا إلى هذه الغاية النبيلة ، وقد يرى القارئ بعد الكشف عن هذا الطريق أن مصر لا تزال عذراء وهي المليحة الحسناء ، وأن الفنان المصري الظمآن إلى الجمال لا يزال بعيداً عنها كل البعد يبحث عن عروسه في الفضاء ، وفي الهواء ، وهي تكاد تتخاذل من الشوق إليه ، وتكاد تستخذي من كثرة ما تبرجت وازينت وخطرت أمام بصره

وتهادت أمام بصيرته ، وهو يأبى إلا أن يغمض دونها عينيه ، وأن يغلف دونها نفسه كأنما هو يتقيها اتقاء وكأن بينه وبينها ثأراً .

وقد يحسن قبل أن نزف هذه العروس إلى هذا النعشق الحيران أن نحدثه عنها قليلاً

فما هي مصر ؟

هي أولاً هذه الأرض التي نعرفها والتي تتشكل الطبيعة فيها بثلاثة أشكال بارزة قد ترادفها أشكال أخرى . أما هذه الأشكال البارزة فهي هذه البيئات الجغرافية الثلاث : بيئة الصحراء ، وبيئة الريف ، وبيئة السواحل . وأما البيئات الأخرى فنذكر منها بيئات المدن ، والواحات ، والبحيرات . ومصر هذه يشقها من الجنوب إلى الشمال نهر النيل ، وتتناثر في شمالها وشرقها البحيرات ، ويجاورها من الجنوب السودان فيلون أهل جنوبها ببعض لونه الذي يمنحه من بيئته الجغرافية . وتكاد مصر بعد ذلك تنعزل عن أراضي جيرانها

أما سماء مصر فصافية مكشوفة لا تتلبد إلا عند السواحل فقط ، وأما مناخها فمعتدل هادئ أميل إلى الحرارة لا يصطخب ولا يبرد إلا عند السواحل أيضاً

هذه هي بيئة مصر الجغرافية وهي كما نرى بيئة سهلة لا تعقيد فيها ، وقد طبعت هذه البيئة السهلة أهلها بهذه السهولة ، فالمصريون فيهم من الطفولة البشرية ما في أرضهم وجوهم من الطفولة والسلاسة ، وهذه الطفولة نفسها هي أخصب مجال للفن إذا اتفقنا على أن الفن الصادق هو ما كان مبعثه الحس لا التفكير . والشعب المصري يشهد بهذه الحقيقة؛ فما من مصري إلا وله اتجاه فني خاص؛ وأغلب المصريين يتجهون إلى الغناء والنكتة ، والغناء فن ، والنكتة فن . هذا إلى جانب ما يشيع في المصريين على مر الزمن من إدمانهم لفن « التدين » الذي آثروه على بقية الفنون فتيسر لهم من ألوانه ما تتابع عليهم وعلى حياتهم منذ ألّهوا فراعينهم إلى هذا الزمن الذي وحدوا فيه الله توحيداً صريحاً ، ولكنهم مع هذا التوحيد أبوا إلا أن يتزلفوا بالتقديس إلى أرباب القباب من الموتى ، وأهل الزعامة من الأحياء

فالشعب المصري إذن شعب فنان لأن أرضه تبعث الفن بما لها من السهولة والنقاء

فإذا فرغنا من دراسة مصر جغرافياً وجب علينا أن ندرسها بعد ذلك اجتماعياً . وقد لا يجهدنا هذا الدرس إذا سلكنا إليه أقرب السبل فقلنا : إن المصريين سكان هذه الأرض المتشكلين بأشكالها ، هم إما صحراويون طبعتهم الصحراء بطبعها ، وإما ريفيون شكلهم الريف بشكله ، وإما ساحليون لونهم البحر بلونه ... ولعلنا نعرف أن كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية تؤثر في طباع أهلها تأثيراً خاصاً ؛ فأبرز ما يميز أهل الصحراء الشمم لدوام حريتهم وإبائهم الضيم ؛ وأبرز ما يميز أهل الريف الصبر لخضوعهم الإجباري لنظام الزراعة ومواقيتها ؛ وأبرز ما يميز أهل السواحل روح المغامرة التي يبثها في نفوسهم التجول في البحر . وإلى جانب هذه الصفات البارزة في أهل كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية صفات أخرى لابد أن يحسها الفنان، وقد يستطيع الباحث المتفهم أن يستطلعها

فرغنا الآن من مصر المعاصرة فألممنا بها أرضاً ومجتمعاً . ولكن مصر المعاصرة هذه ليست مصر كلها ، فإن لمصر تاريخاً ماضياً ، وإن لها آمالاً في المستقبل ، وإن لها في الحاضر نفسه صلات بغيرها من الشعوب ؛ وتاريخ مصر الماضي يتمم كيانها الحاضر ، ويساهم في رسم طريق المستقبل وتمهيده ، وإن آمالها التي ترجوها في المستقبل تحيا في حاضرها وتوقظ من ماضيها ما تستلزمه وما تريد أن تعتمد عليه ، وإن صلاتها الحاضرة بغيرها من الشعوب والأمم تسهل هي أيضاً في تبلور كيانها ، ولعل هذه الصلات هي أشد العوامل تأثيراً في الذات المصرية الناشئة ، ولعلها أشدها خطراً على استقلال هذه الذات ، فهي إذا دبت إلى العلم والصناعة ارتقت بالمصريين ، ولكنها إذا تمكنت من الفن المصري مضغت مصر وقذفتها إلى المتحكمين بها لقمة سائغة

وقد يكون من الخير للانسانية كلها أن تندمج وأن يتوحد ذوقها وحسها ، ولكن يظهر أن هذه أمنية يصعب تحقيقها ، ويظهر أيضاً أن تحقيقها لن يتم إلا إذا سرى قانون بقاء الأصلح ؛ فإذا كان هذا حقاً فإنه يتعين علينا أن نجاهد كي نكون من الصالحين حتى لا تلتهمنا الإنسانية إذا كانت ماضية إلى التوحد . وإنها لماضية إليه . وكل الدلائل تدل على هذا المضي وإن كنا نظن أن الفن وحده هو الذي سيبقى مميزاً لأصحاب الأوطان المختلفة بعضهم

من بعض ، وإن كان هذا التميز سيتقلص كثيراً حتى ينحصر في شكل الفن وأسلوبه وبعض روحه إلى أن يشاء الله غير ماشاء منذ جعل الناس شعوباً وأمماً ليتعارفوا

وعلى أي حال فنحن لا نزال في حاجة إلى فن مصري قوي . وما نحن أولاء رأينا أن الشعب المصري مفطور على الفن بطبعه : خلقته فيه بيئته وأرضه؛ فهل استطاع المتصدون لإبداع الفن في مصر هذه الأيام أن يشبعوا هذا الشعب فناً مصرياً ؟

هل يقرأ المصريون من أهل البيئات المصرية المختلفة ما يكتبه أدباؤنا المصريون؛ وهل يفهمه ويحسه الأميون منهم إذا قرئ عليهم؟ وهل يستطيع المصريون أن يستمتعوا بالصور التي يرسمها رساموهم ؟

وهل يتغنى المصريون بهذه الأغاني التي يرتلها الفنون اليوم؟ وهل ينشد المصريون هذا الشعر الذي يكتبه شعراؤهم وهل يعطفون عليه ويحبونه ؟

هل يقرر الواقع شيئاً من هذا ؟ كلا ؟ فالواقع يقرر أن أهل الفن عندنا في واد وأن الشعب المصري في واد . ويظهر أن ذلك راجع إلى أن نهضة الفن عندنا صاحبت نهضة الثقافة فخرج الفنانون المصريون من بين المثقفين ، والثقافة المصرية الحديثة كما هو واضح ثقافة مترجمة منقولة؛ وليتها كانت مترجمة عن أصل واحد قريب من طبعنا ، وإنما هي أمشاج من ثقافات شعوب مختلفة لكل منها ذوق ولكل منها طبع . ولقد كان هـذا الاضطراب سبباً في اضطراب العقل المصري المثقف ، واضطراب النفس المصرية المثقفة . فالفنان المصري المثقف يخرج فناً قد عبثت به الثقافة المضطربة هذه فهو كالخليط المتباعد الأخلاط ، وليس كالمزيج الذي اندمجت عناصره فأصبح بهذا الاندماج عنصراً جديداً له ذات جديدة وكيان جديد

لهذا يستوحش المصريون هذه الفنون المثقفة ، ولهذا يحب المصريون فنونهم الساذجة البلهاء التي ينتجها فنانون لا يعرفهم المثقفون وقد لا يعرفهم الشعب نفسه وإن كان يعشق فنونهم

لهذا كان علينا إذا أردنا أن ننشئ الفن القوي أن نسلك سبيلاً من سبيلين : فإما أن نصبر على هؤلاء الفنانين المصريين من غير المثقفين حتى يرقوا وينضجوا فيختاروا مكانتهم التي تؤهلهم الطبيعة لاحتلالها ويكون هذا أمراً طبيعياً لا يعترضه معترض ، وإما أن نحز نفوس المثقفين من أهل الفن عندنا ليتيقظوا من ثقافتهم وليعودوا إلى الطبع المصري ، وأظن أنه ليس من العسير على الإنسان أن يسترد نفسه ، وأن يسترجع أصله ، وأن يستعيد طبعه وأن ينسل نفسه مما لصق بها من الزيف

ها هي ذي مصر أمام الرسام ، وها هي ذي بيئاتها المختلفة ماثلة أمام عينيه بما فيها من ناس وحيوان ونبات وجماد ، وها هي ذي أخلاق أهليها وعاداتهم تناوش نفسه ما دام يعايش أهلها ويعاشرهم . أفلا يستطيع الرسام المصري إذن أن يقف وقفات كثيرة عنـد مظاهر كثيرة ومعان كثيرة من مظاهر الجمال ومعانيه في هذه البيئات المصرية المختلفة ؟! إنه يستطيع لو أنه فتح عينيه واستقبل الصور التي تتلقاها بنفس مصرية . ولا ريب أن القارئ قد لحظ أن عقائد المصريين — مثلاً — لا تزال بعيدة عن التصوير المصري . فمن من المصريين رسم صوراً لقصة السيد البدوي ! وللسيد البدوي عند المصريين أقاصيص فيها مواقف تستحق الرسم والتصوير ؟ ومن من المصورين المصريين صور الحاوي المصري ؟ ومن منهم صور « شيخ الطريقة » ومن منهم صور « بطولة أحمس » ومن منهم صور « غزوة السودان » و « أهل الكهف » و « زفة العروسة » و « رقصة البدو » و « صيد الترسة » و « معركة في الأسكندرية » و « البحث عن أم الخلول » و « صانع القلل » و « عامل الحلة » و « نكتة رشيد » وما إلى ذلك من الموضوعات المصرية البحتة التي لو أخرجت في ألوانها المصرية الطبيعية الصحيحة لأرضت كل إحساس وكل فكر .

وها هي ذي مصر عند سمع الموسيقى : لماذا لا يغني أهل الصعيد هذه الألحان التي تصاغ في القاهرة ؟ ألأن لهم لهجة في الكلام غير لهجة القاهريين؟ كلا، فلهجات الكلام لم تكن يوماً حجاباً دون النغم. فها هي ذي الأوبرات الإيطالية تستبق ألحانها وأنغامها كما صاغها ملحنوها ويستبدل بنظمها نظم انجليزي في انجلترا وفرنسي في فرنسا وألماني في ألمانيا فلا ينفر الانجليز ولا الفرنسيون ولا الألمان من الموسيقى الإيطالية في هذه الأوبرات مثلما ينفر أهل الصعيد من الموسيقى القاهرية ... فهل يدل هذا على شيء

أكثر من أن اعوجاجاً أصاب الذوق الفني في القاهرة فخرج به على الطبع المصري إذ أراد التجديد؟ أولا يدل هذا على أن أصحاب التجديد قد انخدعوا في تجديدهم إذ أرادوا أن يلاحقوا به تجديد سيد درويش وهم لا يذكرون أن موسيقاه كانت رجعة إلى الطبيعة الإنسانية وعودة ارتجفت بها الروح المصرية. والدليل على ذلك أن ألحانه التي صور بها بيئات المصريين كانت تعبيراً صحيحاً صادقاً عن النفس المصرية فراجت بين المصريين رواجاً رائعاً، ومنها ما لا يزال يطن في الأذن إلى اليوم مثل «طلعت يا ما احلى نورها الشمس الشموسة» و «مليحة جوى الجلل الجناوي» و «يا ولد عمي يا بوي» و «يا صلاة أم اسماعيل في وسط عيالها» ...

ويحق علينا ما دمنا نرى إلى إحقاق الحق أن ننصف الموسيقيين المصريين فنقرر أن الأصوات الطبيعية التي يمكن أن تنقل عن البيئة المصرية الطبيعية قليلة، فليس في مصر زوابع ولا أعاصير ولا أمطار ولا رياح ولا غابات تصفر فيها الريح وتزأر فيها الأسود، ولا شيء من هذا الذي تنم به البيئات الأخرى، ولكن ليس معنى هذا أن بيئتنا المصرية مجدبة مما يوحي الموسيقى، فإن في هدوئها وتجاوب أصواتها ورهبتها وجمالها وخفتها وجلالها، وما في مجتمعها وتاريخها وآمالها ما يصلح لتأليف أنصع الموضوعات الموسيقية المنشودة. ولا يتوقف ذلك إلا على شعور الموسيقيين المصريين ببيئتهم المصرية وما فيها.

ونحن الآن مع الأدباء أمام الحياة المصرية. وللأدب في مصر مشكلتان لا مشكلة واحدة: أولاهما مشكلة «الموضوع» التي تعرضنا لها في الرسم والموسيقى، وأخراهما مشكلة «اللغة» فنحن في مصر نتكلم لغة ونكتب أخرى. ولغتانا على تقاربهما الشديد مختلفتان لا يمكن أن ينكر اختلافهما إنسان. وعلى أساس ما قررناه كان أقرب الأدب إلى طبع المصري هو أقربه إلى لهجته وكلامه إذا عالج موضوعات من حياته كما يفعل الأديب المصري الصادق محمود بيرم التونسي، فأدبه مستخلص من الحياة المصرية، ومؤدى باللسان المصري.

على أننا نستطيع أن نتصور اللغة العربية الفصحى، وقد راجت بين المصريين إذا تعلموا القراءة والكتابة، ومع هذا فإننا لن نستطيع أن نتصور أن هذا سيمحو ضرورة اتصال الأدب المصري بالحياة المصرية. فالتساهل في أمر اللغة لا يؤثر في روح الأدب. وإن للمصريين ذوقاً وطبعاً إذا لم يظهرا في الأدب المصري كان أدباً عربياً أو غير عربي، ولكنه على أي حال لن يكون أدباً مصرياً. وقد يحس القراء معي أن في شعر الشاعر الفذ محمود حسن اسماعيل تحقيقاً لهذا الذي نرجوه. فهو وإن كان يكتب باللغة العربية الفصحى فإنه لا يطرق إلا موضوعات مصرية صحيحة، ولا يؤديها إلا أداء مصرياً سليماً يلحظ فيه الذوق المصري وإن لم يتقيد فيه باللفظ المصري.

فإذا تركنا هذه الناحية الناعمة من الذوق المصري وعرجنا على الأدب في جوهره رأينا الأقلية من الكتاب والأدباء هم الذين يعالجون الموضوعات المصرية، ورأينا هؤلاء الذين يبسطون للناس أدباً مصريًّا صحيحاً متهمين بأنهم أدباء «شعبيون» بعد تحويل الوصف الشعبي من معنى المدح إلى معنى الذم

عزيز أحمد فهمي

من هنا ومن هناك

الدعاية في ألمانيا

نشرت مجلة ذي انترنشنال نازي التي تصدر في لندن مقالاً طريفاً عن الدعاية الألمانية رأينا أن نلخصه لقراء الرسالة ليلموا بنوع جديد من أنظمة النازي يشمل سائر بلاد العالم

في ألمانيا نظام للدعاية واسع النطاق كثير الشعب والأنحاء حتى ليُعجز عن الوصف

ولا يقف هذا النظام على وكالة واحدة تقوم بهذا الغرض ؛ ولكن الدعاية في ألمانيا لها أقسام وإدارات مختلفة متصلة جميعها بوزارات الحكومة وإداراتها . وقد تتمدد مراكزها إلى أقصى جهات المعمورة وتجتمع جميعها في مركز واحد يدبر شئونها ويشرف عليها

ووزارة الدعاية في ألمانيا يشرف عليها دكتور جوبلز ، ولها جيش من مراسلي الصحف في جميع أنحاء العالم يدخلون في عداد موظفي الحكومة ، وهي تشرف على ما لا يقل عن ثلثمائة جريدة في مختلف الممالك . ولها مخبرون أكفاء يغذون تلك الصحف في بلاد بجنوب أمريكا والشرق الأقصى . وقد أنشئت محطات عديدة للاسلكي لنقل الأخبار إليها من الجهات النائية كجزائر الهند الشرقية . وهي تسخر لأغراضها وكالات السياحة الألمانية وبواخر الريخ وتسيطر على جميع وسائل الدعاية

ويراقب قسم الدعاية الصحف الأجنبية في مختلف بلاد العالم حتى إذا كتبت صحيفة في أية جهة شيئاً لا يتفق وروح الدعاية الألمانية يصل إليها علمه في الحال . وتوزع التعليمات السرية على الصحف يومياً ؛ وكل مخالفة لهذه التعليمات تعد خيانة

وأهم وكالة للدعاية السامة هي الوكالة الأجنبية للحزب الاشتراكي الوطني وتتصل بالجمعيات الألمانية في جميع أنحاء العالم ولا يقل عددها عن ثلاثين ألفاً ويشرف عليها أرنست بوهل الذي قضى أيام طفولته في جنوب أفريقيا ، ولم يدخل ألمانيا إلا سنة ١٩٢٠ وهو في السادسة عشرة من عمره

والألمان الذين يعيشون في الخارج يجب أن يكونوا تحت تصرف القنصلية الألمانية في البلاد التي يعيشون فيها ، ويتصلون بجمعيات النازي المحلية على الدوام ، وبذلك يكونون تحت تصرف الحكومة . وكل مخالفة لأوامر النازي قد تعرض الشخص للحرمان من الجنسية الألمانية ، وإلغاء تصريح السفر الذي منح له ، كما أنها تعرض أسرته للضغط والاضطهاد داخل ألمانيا

وهناك نظام خاص لتعليم هؤلاء الذين يقومون بالدعاية في الجهات الأجنبية ، ففي ألمانيا مدرسة تحت إشراف دكتور روزنبرج ، وأكاديمية في ميونيخ يديرها كارل هوشوفر

وكل أستاذ ألماني أو معلم يقبل الخدمة في الخارج ، لا بد أن يقضي وقتاً في الدراسة بهذه الأكاديمية . والطلبة الذين يسافرون إلى مناطق بعيدة عن ألمانيا يجب أن يلتحقوا بجماعة « الطلبة الألمان » في تلك الجهات

وتوضع رقابة شديدة في الموانئ على المؤلفات التي تصدر إلى البلاد الأجنبية أو التي ترد منها ، فلا يخرج منها كتاب يخالف مبادئ النازي في شيء من الأشياء ، ولا تبيح للأدب المخالف للنازي الدخول إليها . وهذه الرقابة تشمل المسافرين على المراكب الألمانية كيفما كانت جنسيتهم

ولم تكتف الدعاية الألمانية بمراقبة القراء الألمان واتصالهم بالرأي العام في الخارج ، فقد أصرت على سحب النسخة التي طبعت في فرنسا من كتاب « كفاحي » لبعض كلمات علق بها على معاملة هتلر لفرنسا

وترتكب حوادث القتل والخطف في سبيل الدعاية تحت إشراف الحكومة وعماوتها ؛ ومن أشهر تلك الحوادث خطف الصحفي اليهودي برتولد جاكوب ، ومقتل دكتور دولفوس

هل نحن مسوقون إلى الهمجية ؟

تتضارب الأفكار في العصر الحديث ، فهو عصر تطورت فيه شئون العالم ، واختلفت فيه المبادئ المقررة إلى درجة لم يعهد لها مثيل . كل ما فيه جديد يدعو إلى إطالة التفكير ، فهل نحن مسوقون مع هذا إلى تحقيق آمال الإنسانية في التقدم والرقي ، أم نحن مسوقون إلى الهمجية ؟

والمقال التالي ملخص عن ذي أنديان رشيو ، التي تصدر في مدراس بقلم أستاذ بجامعة الهند ، وهو يبين وجهة من وجهات النظر في هذا الموضوع: «إذا كان معنى المدنية تقدم العالم ورفاهته، وتضحية الفرد في سبيل مصلحة المجموع؛ وإذا كان معنى المدنية ضبط النفس وكبح جماحها، فيجب علينا أن نقول إننا منذ الحرب العظمى نسير بخطى واسعة نحو الهمجية

في مدى القرن التاسع عشر كانت آمالنا تمتد وتتسع ، حتى أصبحنا نعتقد أننا لسنا بعيدين عن عصر ذهبي عظيم ! فالعلوم تسير بخطى كبيرة نحو التقدم ، تاركة للانسان السيطرة على قوى الطبيعة المختلفة ؛ والديمقراطية تنشر لواءها على سائر بلاد العالم المتمدن ؛ والرأي العام يحترم في كل مكان ؛ والمثل العليا تقود الإنسان نحو التقدم في سائر أنحاء الحياة .

ولقد جاءت الحرب العظمى بعد ذلك بقواها المدمرة ، فشتتت العائلات ، وأزالت عن المرأة قناع العفة والحياء ، ولم يكن أحد ليفكر في هذه الحال إذ ذاك ، لانصراف الأمم جميعها إلى أمر واحد وهو كسب الحرب .

فبعد أن وضعت الحرب أوزارها أنشئت عصبة الأمم ، فطرب لها العالم وظن الناس أن العصر الذهبي المرموق قد ظهرت بشائره تحمل معها الأمن والإخلاص ، حيث يحل حكم العقل والعدالة في كل مكان ، وينصرف الخوف والجزع عن الأمم الضعيفة ، فتصبح في مأمن من اعتداء جاراتها القوية

ولكن تلك الأماني لم تلبث أن تقشعت ، وحل محلها ذلك التفكك في عرى الروابط العائلية والوشائج الوطنية . وحلت الأباحية محل العفة وضبط النفس ، وذهب الإخلاص والطهر من الرجل كما ذهبا عن المرأة ، وحل محلهما الطمع وإشباع الشهوات واختفت الرغبة في الزواج فراراً من تحمل أعباء الزوجية

إن هذا الانقياد للشرور وعدم الخضوع لقانون العقل والعرف يدلان على أن الهمجية تهددنا وتقترب منا يوماً عن يوم

ولقد ظهرت هذه الميول الوحشية في شؤوننا السياسية . لقد كانت الأمة تخجل أن تهاجم أمة أخرى قبل أن تمهد لذلك بأعذار يقبلها العقل، وكان الرأي العام يحسب له حساب

ولكن القاعدة المتبعة الآن تخالف ذلك كل المخالفة، ويكفي أن تكون الأمة راغبة في التوسع والرقي وتبوىء مكانها تحت الشمس كما يقولون ، لتعتدي على استقلال جاراتها

لقد جاء زمن كان الواجب يقضي فيه على الأمة المحاربة أن تعلن الأمة الأخرى بأن تستعد لمحاربتها ، ولكن قد بطل كل ذلك في ضمير الأمم الآن . والرأي أن تأخذ عدوك على غرة وتسلط الهزيمة مباشرة عليه

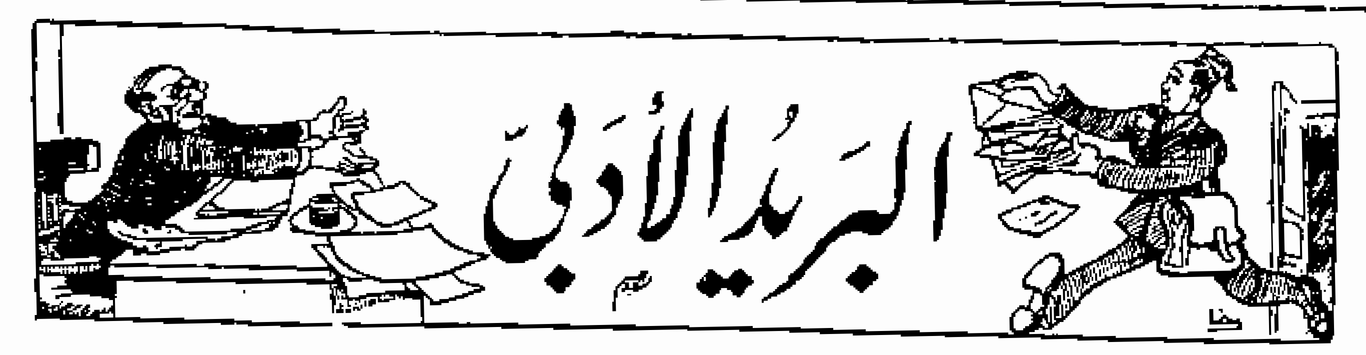
ولم يعد في عرف الأمم الحاضرة ضرورة لحماية الأطفال والنساء من خطر الطيارات . وقد بطل العمل بالقوانين التي تمنع الاعتداء على المستشفيات وأماكن التعليم والعبادة . وأملت الوحشية على تلك القلوب المتحجرة أن الخسائر التي تحملها الطيارات بالنفوس البشرية عمل من أعمال الإنسانية حيث تقضي عليها في أمد قصير !

ولا يباح الآن للأمة الصغيرة أن تضع سياستها بنفسها ، ولكن الأمم القوية هي التي تضع لها السياسة التي تسير عليها . فإذا رفضت أن تعمل تحت إمرتها كان رفضها كافياً لتدميرها . ولقد فقدت ثقة كل أمة بمقاصد جاراتها فلا ثقة اليوم إلا بالتسليح

إن ما انتهت إليه حال عصبة الأمم ، وما كان يوضع فيها من الآمال والمبادئ السامية التي أصبحت أثراً بعد عين ، لما يدعو إلى الأسف الشديد .

ولقد رأينا كيف يقضى على حقوق الفرد ويعتدى على حرية الرأي حتى أصبحت أسماء لا مسمى لها في بلاد كألمانيا وروسيا وإيطاليا، وأصبح كل نقد يوجه إلى هذه الحال يقابل بمنتهى الشك

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المدنية تتدهور يوماً بعد يوم والعالم المضطرب يسير وسط هذه الزعازع كسفينة بغير سكان، يقودها ملاحون مخبولون نحو الهاوية التي ستدفعها إلى القاع .



١ – على هامش محاضرة حافظ عفيفي باشا

كلام حق ومنطق سديد؛ وآراء في التربية والتعليم يندر أن نسمعها في هذا البلد، لأن الجرأة فيه متقاعدة والصوت المخالف يرق لجأة حين يجب الصراخ

سرد حافظ عفيفي باشا في محاضرته (الجامعة الأمريكية ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٩) عيوب التعليم في مصر، فأخذ فيما أخذ على الشباب انصرافهم إلى النيابة عن التحصيل، وقعودهم عن مواصلة الدرس والاطلاع بعد نيل الشهادة، وشغفهم بالتوظف وقلة « ثقافتهم المعنوية » ، وفي رأي المحاضر أنه لا بد من إصلاح نظم التعليم . وفي رأيه أيضاً أن أساس الإصلاح إنما هو إعداد المدرس الصالح

وما أظن أحداً من أهل الفطنة والدراية يخالف حافظ عفيفي باشا في تلك الآراء، بل أعرف نفراً من المفكرين المصريين يرونها؛ إلا أن قصة المدرس الصالح والمربي العارف لا تتم على الوجه المرضي ما دام أمر التدريس والتربية في أيدي « أولئك الموظفين المخضرمين الذين نشأم المستشار دنلوب على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة، وأخذهم بـ(روتين) (أي بجمود) النظام حتى أصبح لهم فطرة ... » كما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات في العدد السابق من الرسالة .

أطلبوا الشباب وانظروا إلى الدول الناشطة : إلى ألمانية وإيطالية وأمريكة الشمالية . أما سئمتم الخدر والنعاس ؟!

٢ – محابة نفائس دار الآثار العربية

في الرسالة رقم ٣٠٤ أخبرتك بأن المسيو فييت ، وهو مدير دار الآثار العربية في مصر أقبل على الإرسال بإعانة قطعة من نفائس الدار إلى باريس لتمد معرض الفن الإسلامي المزمع إقامته هنالك ، وذدت أن وزارة المعارف وقفت دون ذلك .

ومما اتصل بي أن المسيو فييت لا يزال يسعى في إخراج تلك النفائس من الدار . وقد بينت في المقال السابق الأسباب التي من أجلها يمتنع خروجها امتناعاً . وحسب وزارة المعارف أن تتمسك بقانون دار الآثار . وحسبها أن تسأل المتحف المصري هل يأذن في خروج محفوظاته كلما قام معرض في بلد من البلدان . ولا أحب أن أعود إلى التبيين والتدليل ، لعلمي أن أصحاب الأمر في وزارة المعارف يغضبون لخروج تلك النفائس غضبي لذلك، وأنهم يغارون عليها وبها يعتزون . أعلم هذا ، ولذلك أسألهم أن يأمروا بإعادة القطع إلى الحيطان؛ إذ بعضها لا تزال في الصناديق المجهزة للرحيل، وبعضها مطروح على الأرض ينتظر أن يُفصل في أمره . رحم الله الفن ... !

هذا وما فاتني أن أذكره لك في المقال السابق أن طائفة من نفائس دار الآثار العربية ليست مما تملكه الدار . بل هي مودعة لديها من جانب وزارة الأوقاف . وإني أعلم أيضاً أن على رأس وزارة الأوقاف من يكره أن يتجوز في مثل هذا .

٣ – الاعتراف بجهول الفلسفة العربية

في المجلة الفرنسية الرفيعة Les Cahiers du Sud الخارجة في مرسيلية (عدد فبراير سنة ١٩٣٩ ص ١٨٥ — ١٨٩) أن الأب هكتور تيري Hector Théry من أساتذة المعهد الكاثوليكي في باريس ألقى محاضرات في الفلسفة العربية واليهودية للعصر الوسيطي ؛ ومما قاله :

« إن العرب في ذلك العهد يسبقون اللاتين بمئات من السنين؛ ومذاهبهم تنشأ وتتحول على خلاف المذهب المسيحي . بل لنا أن نتحدث عن غلبات الإسلام المعنوية للفكر اللاتيني . فإن العرب الأرسطوطاليين فتحوا الأذهان فتحاً بالرغم من الحروب

الصليبية (يعنى ماوراءها من الكراهية والبغض) فانبثت كتبهم فيا يلى ديارهم ، فهيَّأوا بذلك من عقولنا الراكدة وفرضوا الفكر اليونانى على اللاتين بعد أن صفَّوه وذهبوا به حتى الشطط . وهكذا ترى أرسطو العرب أو قل العرب الأرسطوطاليين يعينون على تفسير العقيدة المسيحية ... وإنه ينبغى لنا أن نصحح نظراتنا التاريخية (يعنى الاعتراف بتأثير العرب فى التفكير المسيحى)

« وما أقرب الفلسفة العربيـة من الإنسانى ! والدليل أن أصولها تجاوز مبادئ الإسلام والمسيحية لتصير إلى الفلسفة بمعناها الأعم . وفى هذه الفلسفة من الجلال Grandeur ما جعل شراح العقيدة المسيحية يقعون تحت سلطانها .. إنما العرب أساتذة المدرسة الكبرى للفلسفة ! »

٤ — والمخرج الآخر ؟

فى الرسالة رقم ٣٠٥ عجبت كيف رفضت شركة مصر للتمثيل والسينما تجديد عقد الأستاذ نيازى مصطفى المخرج الحاذق . وقد فطن صاحب الأمر الأعلى لتلك الشركة أن استبعاد الأستاذ نيازى ليس من الحكمة فى شىء ، فما أبطأ أن أمر بتجديد العقد

وإذا الشىء بالشىء ذكر فهل نسأل من بأيديهم أمر الفرقة القومية : متى يُيسَّر للأستاذ زكى طليمات أن يسترد عمله ، وهو المخرج المصرى ، بل المخرج الوافر الخبرة الكثير الفن ؟

حتَّام يستبعد أهل الكفاية فى هذا البلد إذا بدت منهم الدراية ؟

بشير فارس

احياء ذكرى عبده الحامولى

عقد معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف اجتماعاً للنظر فى وضع برنامج للاحتفال بذكرى الفنان المرحوم « عبده الحامولى » . وقد شهد هذا الاجتماع معالى مصطفى عبد الرازق بك ومعالى جعفر والى باشا وخليل مطران بك ومصطفى بك رضا والأستاذ محمد عبد الوهاب والأستاذ زكريا أحمد وغيرهم من رجال الفن والأدب

وقد بدأ معالى الوزير الاجتماع بإشارته إلى مافى إحياء ذكرى العظماء من تربية الشعب على الطموح ، وتذوق نواحى العظمة فى الغابرين من رجاله ، فضلاً عما فى ذلك من توجيه القلوب إلى تقدير الفن ومحبته

وقد استقر الرأى على تأليف لجنتين فرعيتين إحداها من الأدباء، والثانية من الموسيقيين ، لدراسة النواحى الأدبية والفنية فى حياة «عبده الحامولى» وعصره ثم وضع برنامج للاحتفال بذكراه

ثم ختم معالى الوزير الاجتماع بقوله : إن وزارة المعارف ستقوم فى مناسبات مختلفة بإحياء ذكرى العظماء الذين مروا فى تاريخ مصر فى مائة السنة الأخيرة

المكتب الفنى فى وزارة المعارف

تفكر وزارة المعارف فى إنشاء مكتب فنى يضم طائفة ممتازة من أدباء المدرسين ، ليكون صلة بين وزارة المعارف والأدب الحر ، ويكون له الرأى فى الكتب العربية التى تختار الوزارة أن تكون فى أيدى تلاميذ المدارس . وهى فكرة نافعة تحقق كثيراً مما دعت إليه الرسالة فى مناسبات عدة . على أن نجاح هذا المشروع مشروط بحسن اختيار الوزارة لأعضاء هذا المكتب ، بحيث لا يضم إلا الممتازين حقاً من المدرسين الأدباء ؛ وإنهم لكثيرون فى وزارة المعارف ، ينقصهم حسن الرعاية ليكونوا من عوامل الإصلاح فى الأدب الجديد

كتاب منتقى الأخبار

جاء فى كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى للأساتذة المحترمين : أحمد الأسكندرى . أحمد أمين . على الجارم . عبد العزيز البشرى . أحمد ضيف . فى الصفحة ٢٥٨ من الجزء الثانى « ترجمة ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحليم ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير ... إلى أن قالوا وبلغت مصنفاته ثلاثمائة مجلد أكثرها فى التفسير والفقه والأصول والرد على الفلاسفة والمبتدعة وأشهر هذه الكتب منتقى الأخبار الخ »

وكتاب منتقى الأخبار مشهور متداول معروف بين الناس وهو فى أحاديث الأحكام ونسبته لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية المشهور بتقى الدين شيخ الإسلام خطأ عظيم ولا سيا من مثل رجال هم من أعلام العلم والأدب فى هذا العصر . وإنى مع احترامى لمقامهم لا أرضى لهم هذا؛ ولو أنه صدر عن أناس لا شأن لهم لما

نبهت عليه ولما أنبهت له ، وكتاب المفصل متداول بين الطلبة وغيرهم فلا يصح أن تبقى غلطة كهذه شائعة فيه بدون تنبيه

أما صاحب منتقى الأخبار فهو الشيخ مجد الدين عبد السلام ابن تيمية وهو جد أحمد بن تيمية المشهور المترجم له في كتاب المفصل ، وقد شرح كتاب منتقى الأخبار الشوكاني وأسماه نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار وطبع عدة مرات وكذلك منتقى الأخبار طبع منفرداً

ونبه الشوكاني في أول شرحه على الفرق بين مجد الدين عبد السلام بن تيمية صاحب منتقى الأخبار وبين أحمد بن تيمية المشهور بشيخ الإسلام ، فقال في أول كتابه : « وسميت هذا الشرح بنيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ... إلى أن قال : وقبل الشروع في شرح كلام المصنف نذكر ترجمته على سبيل الاختصار فنقول : هو الشيخ الإمام علامة عصره المجتهد المطلق أبو البركات مجد الدين عبد السلام المعروف بابن تيمية قال الذهبي في النبلاء ولد سنة تسعين وخمسمائة تقريباً ... قال : وقد يلتبس على من لا معرفة له بأحوال الناس صاحب الترجمة بحفيده شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم شيخ ابن القيم الذي له المقالات التي طال بينه وبين أهل عصره فيها الخصام وأخرج من مصر . وليس الأمر كذلك . . الخ »

هذا كلام العلامة الشوكاني وهو جلي ظاهر لا يحتاج إلى تعليق

وقال صاحب كشف الظنون : « المنتقى في الأحكام لمجد الدين ابن تيمية شرحه السراج عمر بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ ولم يكمله ... الخ »

ابراهيم يس القطان

هل تكرر ما لنفي النفي ؟

ذكر ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك أنه يشترط في عمل ما عمل ليس ألا تكون مكررة. فإن تكررت بطل عملها، نحو — ما ما زيد قائم — فالأولى نافية ، والثانية نفت النفي ، فصار الكلام إثباتاً .

وكان على ابن عقيل قبل أن يشترط ذلك الشرط الذي انفرد به أن ينظر : هل تجيز العربية هذا الأسلوب أو لا تجيزه ؟ وإني لا أذكر أنه مر علي في كلام العرب منظومه ومنثوره مثل ذلك الاستعمال ، وإنما يتكرر حرف النفي فيها للتأكيد ، مثل قول الشاعر في تكرار ما :

لا ينسك الأسى تأسياً فما ... ما من حمام أحد معتصما

ومثل قول الآخر في تكرار لا :

لا لا أبوح بحب بثنة إنها ... أخذت علي مواثقاً وعهودا

ولست أدري لم تقول العرب في الإثبات — ما ما زيد قائم — ولا تقول من أول الأمر — زيد قائم — وقد قامت لغتهم على مراعاة الدقة في الأسلوب ، بحيث لا يزيدون فيها ولا ينقصون إلا لسبب من الأسباب .

قال بعض طلابي في الدرس : إنه يجوز أن يكون أصل ذلك الأسلوب أن شخصاً قال (ما زيد قائم) فترد عليه قوله بقولك له (ما ما زيد قائم)

فقلت له : إني إذا رددت عليه بذلك أكون مخطئاً ، لأنه حينئذ يكون منكراً لقيام زيد ، فيجب أن أرد عليه بكلام مثبت مؤكد ، فأقول له (إن زيداً قائم) ولا يصح أن أرد عليه بذلك النفي المكرر غير المؤكد ، وهذا أمر معروف في علم المعاني

وقال بعض الشيوخ : إن ذلك الأسلوب لم يرد مثله عن العرب، ولكنه يصح لنا أن نقوله، وهذا يكفي في تسويغ كلام ابن عقيل

فقلت له : إن مثل هذا قد مضى زمنه ، ولا يمكن أن يقبله الآن أحد منا ، لأن النحو موضوع لكلام العرب لا لكلامنا

وقد ورد أسلوب نفي النفي في لغة العرب على نحو آخر مقبول يدخل فيه الاستفهام الإنكاري على النفي لأجل نفيه ، لأن الاستفهام الإنكاري يفيد النفي ، ونفي النفي إثبات ، وهذا كما في قوله تعالى : (أليس الله بكاف عبده) فهو بمعنى قولنا : — الله كاف عبده — ولكنه يفيد ذلك على أبلغ وجه وأحسن أسلوب. وقد قام الإنكار فيه مقام التأكيد اللازم في الرد على إنكارهم، بل هو أقوى من التأكيد في اقتلاع الإنكار من أنفسهم . ومن ذلك الأسلوب أيضاً قول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وقد قيل إنه من أجل هذا كان أمدح بيت قالته العرب ، ولا شك أن الفرق كبير بينه وبين ذلك الأسلوب الذي أجازه ابن عقيل ، ومع هذا نحب أن تشرك قراء الرسالة في أمره ، فلعل بعضهم يحفظ عن العرب شاهداً له

عبد المتعال الصعيدي

وفاة السيد عبد الرحمن الإمامي

فجع المغرب الأقصى فى الأيام الأخيرة بفجيعة كان لها وقع كبير فى نفوس الشعب المغربى ألا وهى موت أحد علمائه الكبار السيد عبد الرحمن بن القرشى الإمامى فى العشرين من المحرم، فكانت المصيبة التى ذهل الكل لها. وقد كان الفقيد رحمه الله من الساهرين على المصلحة العامة والعاملين عنها مضحياً فى ذلك بكل نفيس .

تقلب الفقيد فى وظائف شتى فكان قاضياً مثال العدل والنزاهة ثم كان وزيراً لم يشهد المغرب قط مثله وزيراً صارماً

وقد تنح الفقيد رحمة الله عليه عما فى يديه فانقطع لعبادة الله ونشر العلم تاركاً الدنيا ولم يخلف فيها ديناراً ولا درهما

وتقديراً لهذه الحياة العامرة بجلائل الأعمال قامت نخبة ممتازة من شباب جامعة القرويين وأسست لجنة دعت الناس إلى حفلة تأبين للفقيد فى اليوم الأربعين من وفاته ، فكان الحفل رائعاً . ووافق يوم الأربعين يوم الخميس ٢٩ صفر سنة ١٣٥٨ وكان يوماً مشهوداً تجلت فيه العواطف المغربية حزينة كئيبة . وقد اختارت اللجنة أن يكون محل التأبين الدار التى كان يقطنها الفقيد آخر حياته

وقد افتتح الأستاذ احمد الشبيهى الحفلة مرحباً بالحضور ، ثم أعقب ذلك آيات من الذكر الحكيم فسكوت مقدار قراءة الفاتحة على روح الفقيد ، فمقال الأستاذ الرئيس أتى فيه على حياة الفقيد بإسهاب، فمقال لوزير المعارف الأستاذ محمد الحجوى ، فقصيدة لقاضى مدينة سكات احمد سكيرج . فقصيدة لقائد قبائل أولاد جامع محمد بوعشرين ، فقصيدة لمبية صنو الخليفة السلطانى بفاس الأستاذ محمد غريط، فمقال للأستاذ بجامعة القرويين العباس الرانى، فمقال لمفتى سلا أبى بكر زنيبر ، فمقال للكاتب بالبلاط السلطانى المغربى ابن سودة ، فمقال لعالم مدينة مراكش محمد بن الموقت . فخطب وقصائد كثيرة للنخبة الممتازة من طلبة الجامعة

« فاس » اللجنة المقررة

حول تشبيه

سأل سائل من كرام العراقيين فى الموصل عن وجه الشبه فى تشبيه هجرة الأميرة فوزية إلى طهران بهجرة الرسول الكريم إلى المدينة فى الصفحة الثالثة من عددنا الهجرى الممتاز . وجوابنا أن هجرة الرسول كانت عاقبتها قوة الإسلام وعزة المسلمين ووحدة العرب ، وهجرة الأميرة نعتقد أنها قبل كل شىء فى سبيل الله وستكون عقباها المؤاخاة بين دولتين من أقوى دول الإسلام فرق بينهما بعد الدار واختلاف اللغة والمذهب ؛ وفى هذه المؤاخاة ضمان لحسن الجوار بين إيران والعراق ، وتوثيق لصلات التعاون بين المسلمين والعرب . والتشبيه بعد ذلك كله كما يقول البيانيون إلحاق ناقص بكامل . فلا بد أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أقوى منه فى المشبه ولو ادعاء ، وإلا عدل عن التشبيه إلى المشابهة ا . ع

تصويب

وقع فى المقال الأخير للأستاذ الكبير العقاد خطآن مطبعيان نصححهما معتذرين :

فى صفحة ٨٨٩ سطر ٢٢ جمهرة الشعراء والصواب: جمهرة القراء

وفى صفحة ٨٩٧ سطر ٢٦ يقبضون على كل زمان والصواب : على كل زمام

ذكرى صديق

دار الفلك دورتين منذ أن ضرب القدر بينك وبيننا يا رافعى بحجاب لا نستطيع أن نظهره ولا تستطيع أنت . . . دار الفلك دورتين، والحياة ما تنفك هى الحياة، والناس من حولها فراش يتهافت على بريق من شعاعها يخطف الأبصار ، ويصرف القلوب إلا عن نوازع العيش وحب البقاء ، وأنا على حيد الطريق أتشوف ، وآسى على قلوب رانت عليها ظلماء الحياة فما تبصر ، غير قلبى . . غير قلبى وهو قد ضم على هوى لك فيه ، هو به ضنين ، فلا يكاد ينسى أنك أنت يا رافعى . . .

يا عجباً ! هذه الدار على قسوتها لذة يهفو نحوها كل قلب؛ وهذه الدنيا على ما فيها من بلاء جميلة تصبو إليها كل نفس؛ وهذه الحياة على ما نجد فيها من عناء جذابة يبسم لها كل إنسان ! تلك سنة الخلق

لقد تواريت عنا ليقول فيك التاريخ كلمته ، وخلصت إلى نفسك لعل القلوب تنتزع عنها سخائمها ؛ ولكن ماذا كان ؟

إنه لا يحزننى ألا أجد المنصف البرئ ، فما الخلد مرتبة تؤخذ عن شفاه الناس ؛ وليس يؤلمنى أن أرى طائفة من الناس تضطغن عليك وتذهب تريد أن تنال منك ميتاً بعض ما عجزت عنه وأنت حى ، فالتاريخ من ورائهم له لسان صدق

ما الإيمان ، وما العقيدة ، وما الصبر ، وما الدأب ، وما النشاط وما الحزم ، وما الجد ، وما السمو ، وما الكرم ، وما الوفاء ، وما ... وما ... ؟ أشياء كنت تعرفها وتدين بها وترى فيها الغاية العظمى والمثل الأعلى . فرحمة الله عليك كامل محمود حبيب



حيـــاة الرافعي

تقرير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

كتاب « حياة الرافعي » للأستاذ محمد سعيد العريان من أجدر الكتب الحديثة باحتفاء الأدباء ، وأحقها بأن يتناولها القارئ تناول تمعن ودرس ، وأن يقول الناقد فيه كلمة تضعه موضعه بين كتب العربية . « فحياة الرافعي » كتاب فريد في المكتبة العربية ليس له فيها شبيه ولم يُنسج على منوال سابق . وذلك لأن فن التراجم لم يستقم لأي من كتاب العربية حتى الآن . نعم إن في العربية كتباً فيها تراجم لشعراء وأدباء طالت أو قصرت لكنها ليست من ذلك في شيء ، إن هي إلا ذكر بعض أخبار الشاعر ونوادره أو بعض ما اتفق له مما يكون بين الإنسان وبين معاصريه . وقد تكون غالبية هذه الأخبار ملفقة مزورة صنعها الرواة إثباتاً لأمر يريدون إثباته أو تعالماً على غيرهم بأخبار الشعراء؛ أما الترجمة التي يقصد بها إلى تصوير المؤثرات التي خلقت أدب الأديب ووجهت شعر الشاعر ولونت فلسفة الفيلسوف ، فليس لها وجود في العربية قبل « حياة الرافعي » . ومن هنا وجب أن يحتفي الأدباء بهذا الكتاب إذ كثيراً ما تموت فنون من الأدب لأنها وجدت فلم يلتفت إليها أحد . فإذا كان أدب الرافعي فصلاً منقطع النظير في الأدب العربي ، فكتاب سعيد العريان عن الرافعي كذلك فصل منقطع النظير.

والكتاب حقيق بأن يُحتفى به أيضاً لأنه عن الرافعي الذي أضاف إلى العربية ثروة ضخمة من المعاني والأساليب والبيان والفن ، ثم عقه أدباء عصره فما كان أحد منهم ينظر إليه أو إلى أثر من آثاره إلا بعين مطروفة . ذلك في حياته ؛ أما بعد وفاته فرحم الله أهل الوفاء . ولقد كتب أحدهم أخيراً مقالة عن أثر المرأة في أدباء العصر ، فذكر من شاء إلا الرافعي ؛ مع أن رسالة حزن أو سحابة حمراء أو ورقة ورد واحدة كافية لأن يضعه الإنصاف المزعوم في مقدمة من ذكر

وثمة ميزة أخرى لهذا الكتاب ، وهي أنه تاريخ حافل صحيح للأدب العربي في أحدث أطواره . يكشف بجلاء عن كثير من الحوادث التي أثرت فيه ووجهته ، ويوضح حوادث أدبية هامة مرت على أعين قراء العربية دون أن يتبينوا حقيقة دواعيها ، ولم يأخذوها على وجهها الصحيح . ثم هو تفسير لا بد منه لأدب الرافعي عامة ولعيون كتبه خاصة لا بد لفهمها من قراءة فصوله

ولقد قرأت « حياة الرافعي » منجمة على صفحات الرسالة ، ثم قرأتها مجموعة في الكتاب ، فكان لي فيها بعض الرأي ، أحببت أن أبديه في هذه الكلمة وفاء للرافعي ، وتقديراً لعمل أحد أولئك الشبان الذين يحسنون ويجيدون ثم يضيع إحسانهم وإجادتهم وسط دوي الأسماء الضخمة في هذا البلد

ولقد بينت فيما سبق قيمة الكتاب من حيث هو كتاب . على أن فيه حسنات أخرى كثيرة لو ذهب القارئ المتمعن يحصيها لاستغرقت مقالة على حدة . ففي الكتاب تمحيص للحوادث دقيق ، وفيه اتزان ونزاهة في الحكم ، وفيه لطف في العرض ، وفيه أسلوب مشرق لا يستغرب من أحد أصحاب الإمام الرافعي ، وفيه ما يضطر القارئ الدارس إلى الالتفات والوقوف

على أن في الكتاب بعض ما كان ينبغي أن يسلم منه ، وهذا ما أحب أن أنبه إليه ، فإن جودة العمل محسوبة عليه في ميزان النقد ، والجمال المفرط يظهر أبسط القبح ، وأشد ما تكون النبابة إيلاماً أن تقف على وجه حسن

في الكتاب بعض هنات في الترتيب والتبويب ، أتت من أن المؤلف الشاب كتب مادة كتابه مقالات في أول الأمر ، ثم لما

عنَّ له أن يجمع تاريخه مسلسلاً فى كتاب تقيد بترتيبها فى المقالات فكان فى بعض فصول الكتاب ما هو قلق فى موضعه يحتاج إلى تقديم أو تأخير . فا موضع فصل « بين أهله » بين فصلى « شعراء عصره » و « من الشعر إلى الكتابة » ؟ أليس موضعه الطبيعى بعد « فى الوظيفة » حتى تتساوق فصول الرافعى الأديب ؟ والحديث عن الرافعى الشاعر موزع بين فصول عديدة متفرقة ولو جمعت كلها بعضها إلى بعض لكان أجدى على وحدة الكتاب . وفصل « شعراء عصره » هو أشبه بفصل « فى النقد » وقد نبه المؤلف إلى ذلك، فأشار إليه عند ما بدأ يتحدث عن الرافعى الناقد، وفصل « فى النقد » جزأ غير متتابع لأنه نشر فى الكتاب كما كان فى المقالات ولم يدمج بعضه فى بعض؛ وفى أوائل الفصول كثير من وصل ما انقطع كان ضرورياً فى المقالات المتباعدة وهو فى الكتاب المتلاحق تعطيل للقارئ ومضايقة له ، وأشد ما يظهر ذلك فى فصل « فى النقد » ، وفى الكتاب بعض تعبيرات لا تتفق مع أسلوب كتاب كأن يقال : « وهذا له موضع غير هذا المقال » مع أن الكتاب لا يكون فيه مقالات وإنما يكون فيه فصول ، ولو لم يتقيد المؤلف بمقالاته فى الرسالة ذلك التقيد الشديد لقال : « وهذا له موضع فى غير هذا المقام » أو فى « غير هذا الفصل »

وفى الكتاب بعض الآراء والحقائق تستوقف نظر القارئ المتمعن ، نشير إليها على حسب ترتيب ورودها فى الكتاب

فى ص ١٣ إشارة إلى حارة سيدى سالم قال عنها المؤلف إنها « حارة ضيقة أوى إليها السيد البدوى أول ما هبط إلى طنطا منذ ألف سنة » . وقد كان قدوم السيد إلى طنطا فى سنة ٦٣٤ للهجرة أى منذ ٧٢٤ سنة فقط . وليس هذا من صلب الكتاب ولكنه مما يحسن تصحيحه

وفى ص ١٩ يقول المؤلف إن الرافعى « كان بلغته ولهجته كأنه لم يقدم من سورية إلا منذ قريب » وهو قول لا أظن الأستاذ يعنى به ما يفهمه القارئ منه ، فإن لهجة الرافعى — كما سمعناه يتحدث — لم يكن فيها أى أثر للهجة السورية . وكل ما يستغرب منها هى تلك النغمة الحادة التى تشبه الصراخ ، والتى أشار المؤلف إلى أنها من آثار ذلك المرض الذى أصابه فى شبابه ، فيا حبذا لو أعاد الأستاذ تحقيق هذه النقطة بالرجوع إلى تصوره وهو أعلم بها على كل حال .

وأسند المؤلف النابه فكرة الحب عند الرافعى إلى ما قرأ من أشعار العذريين من شباب العرب . فهل لم يقرأ الرافعى غير أشعار العذريين مع كثرة ما تناول من دواوين الشعراء . ولماذا لم يتأثر بشعراء « الأغانى » وقد قرر الأستاذ أنه كان دائم النظر فى هذا الكتاب وفيه من الشعر والأخبار ما فيه . أليس الأجدر أن يسند ذلك إلى نشأته الدينية التى أشار إليها المؤلف (ص٢٢) وإلى تقاليد أسرته وإلى أنه نشأ تبعاً لكل ذلك « عفيف النظر والشفة واللسان »

ثم ألا يرى المؤلف معى أن عدم شهرة الرافعى بين عامة القراء ليست راجعة إلى أناته وشدة تأنقه فيما يكتب وما ترتب على ذلك من عدم إكثاره من النشر فى الصحف، بقدر ما ترجع إلى بعده عن تملق الجمهور واحتفاظه بأرستقراطية أدبه ، وأنه فضل لقرائه ولنفسه أن يرتفعوا هم إليه على أن ينزل هو إليهم ، كما أظن أنى قرأت له فى بعض أحاديثه من زمن بعيد .

(البقية فى العدد القادم) أبو الفتوح رضوان

الغدد والحياة

الغدد هى مصدر القوة والشباب الدائم . والأطباء فى كل العالم يهتمون بالغدد ويصفون لها المقويات والأدوية التى تساعدها على المحافظة على جسم الإنسان

إن سر الشباب وسر القوة والحيوية فى الجسم هى فى هذه الغدد التى تفرز الهرمونات وتجعل الإنسان نشيطاً قوياً خصباً

إن أقراص فيدا — جلاند تحضير معامل إلن وهنبريس فى لندن هى أفضل علاج مضمون لتقوية الغدد — خذ هذه الأقراص حسب التعليمات داخل كل زجاجة فتستفيد فائدة عظيمة وتعود لك قوتك ونشاطك .